نظارة المعارف العمومية

كتاب

آداب العرب

تأليف

براهيم بك العرب

قررت نظارة المعارف العمومية طبع هذا الكتاب على نفقتها
وتدريسه فى المدارس الابتدائية للبنين والبنات
وفى مدارسة المعلمات السنية ومدارس معلمى الكتاتيب

(حقوق الطبع محفوظة لنظارة)

مطبعة الأميرية بالقاهرة
١٩١٣

فهـــــرس

كتاب آداب العـــرب

	صحيفة
مقـدمة الكتاب	٢
فاتحة الكتاب	٣
اهداء الكتاب لجناب العالى عباس باشا حلمى الثانى خديو مصر ...	٤
تحية الوزير الجليل احمد حشمت باشا ناظر المعارف العموميـة المصرية	٤
الطاوس	٥
الغراب والبلبل	٥
الليث والفيل	٦
الاعمى والمقعـد	٧
البخيل وابنـه	٨
الديكان والنسـر	٩
الفتاة والنحلة	١٠
البيغاء	١١
وحش الجبل والطيور	١٢
الملك والراعيـان	١٤
الحمـل والذئب والليث	١٥
الفـلاحان والسحاب	١٦
الهـران	١٧
الدرويش والقـبرة والصقر	١٨
الأسدان	١٩
الصرصر	٢٠
الفيلسـوف	٢١
العالم والمزارع	٢٣
الارنب وأصحابه والتيسان الجبليان	٢٤

	صحيفة
الكلب والهر	٢٥
الليث والسـنجاب	٢٦
عدل خلفاء الاسـلام	٢٨
البلبل والراعى	٢٩
الغلام والمرآة	٣٠
الطائر	٣١
السنجاب والكلب والثعلب	٣٣
العصـفور والكنارية والحسون ...	٣٤
الثعلب والليث والارنب	٣٦
الفلاح والنهر	٣٦
البومة والحمامة	٣٧
الثعلب المختفى	٣٨
الافيـال والآساد والكلب	٣٩
تهذيب الاسد	٤٠
السمكة الطيـارة	٤٣
الهر والجرذان	٤٤
راعى البقر وحارس الصـيد	٤٥
الشجرة القديمة والبسـتانى	٤٦
القنفـذ والارانب	٤٧
القبرة والقـمرية	٤٩
السـمكة	٥٠
الجرذ والمبرد	٥١
الثور والحصان والحمار	٥١
المعجب بآرائه	٥٣
الغرق والطوفان	٥٣

	صحيفة
طير والمرآة	٥٥
المزارعان	٥٦
الرجل التائه فى الصحراء	٥٧
الدجاجة والثعلب	٥٧
البزى والحمام	٥٩
القاتل أباه	٦٠
صلب الرزق بالحرص	٦١
ركب المذنب	٦١
الملك المشتغل بعلم الفلك	٦٢
دودة القز ودودة الحقل	٦٤
لاعب الميسر	٦٤
طير البرى	٦٥
طاووس	٦٦
الجرادة	٦٦
السرطان	٦٨
البلبل والامير	٦٨
البهلوان وعصاه	٦٩
الكركدن والجمل	٧٠
الفيل الابيض	٧١
الزنبور والنحلة	٧٢
الباحث والمقلد	٧٣
الورقاء والفرخ الذى ربته	٧٤
الغلام والنخلة	٧٥
الارنب والقيثارة	٧٥
البلابة والنجم	٧٦
نكران الجميل	٧٧
الشيخ وولده والعبيد	٧٨
الجواد والمهر	٧٩

	صحيفة
الفلاح والملك	٨٠
خرت وزوجته واحمش	٨١
الحمدة والمضرب	٨٢
الصيد والعصفور	٨٣
والد وولده	٨٣
الخادم ومولاه	٨٤
السائحان	٨٥
بومة والهر والاوزة والفار	٨٦
شكاة الدهر	٨٧
الجاهل المثرى	٨٨
الارنب وصوت الشرشور	٨٩
محب المثل	٩٠
البؤس	٩١
الغدر بالناس	٩٢
الكلب والنعجة	٩٣
الملك والملك	٩٤
محب الوحدة	٩٥
الكلب والعلف والحمار	٩٦
القنفعة	٩٦
الهر والفرئين	٩٧
الجمل والحمار	٩٨
جامع المثل	٩٩
الحياة	١٠٠
الحية ودودة الدم	١٠٢
الحرية	١٠٣
العصفور الحبشى والبلبل	١٠٥
الحمامة والعقعق	١٠٦
الخاتمة	١٠٧

كتاب
آداب العـــــرب

مقدمة الكتاب

أحمد الله الذى ضرب الأمثال لخلقه . وأصلى وأسلم على نبيه الكامل فى خُلقه وخَلْقه . سيدنا محمد القائل بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى فى الآفاق

(أما بعد) فهذا كتاب خدمت به بنتة الوطن المحبوب . وأجريت فيه الأمثال والحكم المأثورة ليأخذو منها مايربى نفوسهم ويقوم أخلاقهم ويطبعها على أصوب آراء المتقدمين

وقد التزمت أن أجعل مواعظ كتابى أقاصيص قريبة التناول واضحة المعنى سهلة النظم يقرءونها بلا ملل ويتمرنون منها الى تلك الكلم الجوامع كأنها نهايات طبيعية لتلك المواضع عذبة المشرب

على أننى جاريت السابقين من كتّاب العرب وأدباء العرب بجمعات حكم تلك العظات دائرة على ألسنة بعض الحيوانات المعروفة ليكون لاخبار بذلك أفكه والمواعظ أبلغ فى ضرب الأمثال وسرد الحكم

فان كنت قد وفقت الى مايرضى أو بعض مايرضى فما ذلك الا من فضل النهضة العلمية الحاضرة التى تزدهى طليعتها بحضارة عصر خديو مصر (عباس باشا حلمى الثانى) ورجال وزارته السعيدية ووزير معارفها الجليل .

هذا وانى أسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا الكتاب مصانعيه الألباء . وأن يجعله خدمة خالصة فى سبيل مصر العزيزة وأبنائها النجباء

(ابراهيم العرب)

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحـــة الكتاب

بَدَأْتُ بِحَمْـدِ اللهِ نَظْمِي وَأَمْثَالِي ❊ وهيهاتَ يُحصِى نعمةَ اللهِ أَمثالى

وَأُهدِى صَلَاتِى والسَّلَامَ لأحمدٍ ❊ نبىّ الهدى غَوثى وغَيْثِى وآمالى

أَتَمّ صـلاةٍ يَنْشُرُ المسكَ عَرْفُهَا ❊ فيَعبَقُ رِيَّاهَا على الصَّحْب والآل

وبعـدُ فهذى حكمةٌ ومواعظٌ ❊ لتهذيب أَخلاقٍ وإِصلاحِ أَحْوَال

بِهِنَّ مَعَانٍ كالعيونِ سَـواحِرٌ ❊ وألفاظُ درّ كُلُّ بَحْرٍ بهـا حالى

فَلَوْ وَهَبَ الرحمنُ للدَّهرِ مَسْمَعًا ❊ لَمَـالَ الى الإِصغاءِ مُنشرحَ البالِ

عنِ الطيرِ فى جو السماءِ أَخَذْتُهَا ❊ وَفى القفرِ عن ظَبْيٍ وذئبٍ وَرِئبَال

عَروسٌ تجلَّت للأحبةِ مَهْرُهَا ❊ رِضاهُمْ وما مَهْرُ الأَحبةِ بالغالى

لِخِدْمَةِ أَوطَانِي وإعلاءِ شأنِهـا ❊ صَرَفْتُ نفيسَ النظمِ والعُمْرِ والمالِ

ومَاأَرتجِى حُسْنَ الثَّناءِ مِنَ آمْرِئٍ ❊ فَيَالَيْتَنِى أَنْجُو من القِيلِ والقـالِ

اهداء الكتاب

للجناب العالى عباس باشا حلمى الثانى خديو مصر

أَدَبٌ فى كِتَابِ وَعْظٍ جَلِيـلٍ ✻ لَيْسَ فى بَابِهِ لَهُ مِنْ مَثِيلِ
حِكْمَةٌ كُلُّهُ وَنُصْحٌ وَأَمْثَـا ✻ لٌ هُدًى يَهْتَدِى بِهَا كُلُّ جِيلِ
عَلَّمَ النَّاسَ كَيْفَ تَكْتَسِبُ الأَخْـ ✻ ـلَاقَ حُسْنًا وَكَيْفَ حِفْظُ الجَمِيلِ
يَدْخُلُ الأُذْنَ غَيْرَ مُنْتَظِرٍ الإِذْ ✻ نِ دُخُولَ الشِّفَاءِ جِسْمَ العَلِيلِ
قُلْ لِتَالِيـهِ قَدْ وَجَدْتَ بَدِيلاً ✻ مِنْ نَدِيمٍ مُسَامِرٍ وَخَلِيـلِ
يَا عَزِيزَ البِـلَادِ إِنَّ كِتَابِى ✻ مَلِكٌ يُمْنَـاكَ يَامَلِيكَ النِّيـلِ
إِنْ تُقَابِلْهُ بِالقَبُولِ يُقَـابِلْ ✻ يَدَ هَـذَا القَبُولِ بِالتَّقْبِيـلِ
لَا تَقِسْهُ إِلَى نَدَى كَفِّكَ الجَزْ ✻ لِ وَلَا نَيْلِكَ الكَثِيرِ الجَلِيـلِ
وَاغْتَفِرْ قِـلَّةَ الهَـدِيَّةِ مِنْـهُ ✻ إِنَّ جَهْدَ المُقِلِّ غَيْرُ قَلِيـلِ

تحيـــة الوزير الجليل

أحمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية المصرية

لِأَحْمَدَ فِى دَارِ المَعَارِفِ مَنْهَلٌ ✻ بِفَيْضٍ بِفَضْلٍ لَيْسَ يَلْغُهُ الحَمْدُ
أَعَادَ إِلَيْهَا المَجْدَ وَالعِلْمَ وَالحِجَا ✻ وَأَثْبَتَ حَقًّا أَنَّهُ الرَّجُلُ الفَرْدُ
شَمَائِلُهُ العِقْدُ النَّظِيمُ بِجِيدِهَا ✻ وَفِى عُنُقِ الحَسْنَاءِ يَنْتَظِمُ العِقْدُ

العظة الاولى

(الطَّاوُس)

قد أَظْهَرَ الطَّاوُسُ إِعْجابَهُ * واخْتَالَ بَيْنَ الوَرْدِ والآسِ
يَفْتِنُ النـاظِرُ من شكْلِهِ .. بُحْسْنِ رِيشِ الذَّيْلِ والرأسِ
لكِنَّ عُصْفُورًا تصدَّى لَهُ .. بالذَّمِّ فى صَحْبٍ وجُلَّاسِ
وعَابَ منه الساقَ فى عُرْيِها * عَنْ ثَوْبِ ريشٍ ناعمٍ كاسِ
فقامَ من حَوْلِهِمَا طائرٌ .. يرمِيهِمَا بالمَنْطِقِ القَـاسِى
فَقَـالَ كلٌّ منكُمَا مُعْجَبٌ .. وغافِلٌ عن عَيْبِـهِ ناسِ
لَوْ نَظَرَ النَّـاسُ إلى عَيْبِهِم * ما عَابَ إنسانٌ على الناسِ

العظة الثـانيـــة

(الغُرابُ والبُلْبُلُ)

سكنَ الغرابُ وبُلْبُـلٌ * دَارًا بِهَـا حَلَتِ الإقامَه
وكِلَاهُمَا قد ضَمَّـهُ * قَفَصُ الخَفَاوَةِ والكرامه
لِلْبُلْبُـلِ التَّغْـرِيدُ مَا * أَحْلَى على النفسِ النسجَامَه
يَشْـدُو ويلعبُ بالقُـلُو * بِ وبالنُّهَى لَعِبَ المُدَامَه
ألهَى بنغمـــةِ صـوته * أصحابَه فنسُوا طَعَـامَه

فَمَتَى جُـوعٌ غَـدا ... مَعَـهُ الغرامُ هُو الغَرَامَه
وقَضَى فتيـلَ حَيـائِهِ ... وبِصَوْتِه حُرِمَ السَّـلَامَه
أَمَّا الغرابُ فإنْ يَجِعْ ... قامتْ لصَيْحتِهِ القيـامه
فلذاكَ مامِنْ لحظـةٍ ... إلَّا وماْكَلُهُ أمامَـه
هـذا قبيحٌ نعيقُـهِ ... فى الدارِ بالغَـهُ مَرَامَه
والبُلْبُـلُ الشادى لحُسْـ ... ـنِ نشـيدِه لاقى حِمامه
سُبْحانَ من قسمَ الحظو ... ظَ فلا عِتابَ ولاملَامه

العظة الثـالثـــة

(الليثُ والفيلُ)

أَرادَ لَيْثٌ هَصُورٌ أن يضُمَّ الى ... أَملاكِهِ مِلْكَ فِيلٍ عَزَّ موضِعُهُ
ولم يَشَأْ حَرْبَهُ كى لا تقومَ بها ... عليه للفيـلِ أنصارٌ تُمَـنِّعُهُ
أَمْضَى إليه وزيرًا ثعلباً فطِنًـا ... عنـد المهمّاتِ يدعوهُ فينفعُـهُ
فأَحضَرَ الفيـلَ فى ركبٍ يُجَلِّلُهُ ... وبالغ الليثُ فى الإكرامِ يخـدعُهُ
وغـرَّهُ بعبـاراتٍ مُمَوَّهـةٍ ... وفى اقتسامِ الأراضى باتَ يُطْمِعُهُ
وقال إنّى نويتُ الغزوَ فانْوِ مَعِى ... وما أَصَبْنَا إليْنا كان مرجعُـهُ

فما أجاورُ من وَعْرٍ سأُقْطَعُهُ ٭ ولا تجاورُ من سهلٍ ستُقْطَعُهُ

فمضيا الشرطَ لمّا استحسناهُ معًا ٭ وراق فى عين هذا الغِرّ موقعُهُ

واصبح الليثُ مالاقاهُ يفرِسُهُ ٭ وأصبحَ الفيلُ مالاقاهُ يصرعُهُ

ودَاوَمَا الفتاكَ حتى لم يُقِمْ أحدٌ ٭ إلّا وصار خلاءً منه مرتَعُهُ

وبعد ذلك رامَ الفيلُ قسمتَهُ ٭ فكان فى طلب التقسيم مَصْرعُهُ

وقال فى نَزْعه والأمرُ مرتبِكٌ ٭ قِيلًا من الحِكَمِ الغرّاءِ منبعُهُ

أوتيتُ ملكًا ولم أُحسِنْ سياستَه ٭ كذا لمن لا يسوسُ الملكَ يُخلَعُهُ

العظة الرابعـــــة

(الأَعْمَى والمُقْعَد)

أَعْمَى توطَّنَ فى بعضِ من المُدُنِ ٭ وجارُهُ مُقْعَدٌ فى ذلكَ الوطَنِ

كِلاهُما يتمنّى الموتَ معتقِدًا ٭ أنّه مِنَّةٌ من أعظَمِ المِنَنِ

وبَيْنَمَا ذلكَ الأَعْمَى يسيرُ إلى ٭ وَجْهِ الكريمِ بلا هَدٍ ولا سكنِ

إذا به عثَرَتْ رِجْلاهُ عن خطأٍ ٭ بذلك المُقعَدِ المخفوفِ بالمِحَنِ

قال الضريرُ وقد ناداهُ صاحبُهُ ٭ ما كان هذا الشقا لو كنتَ تُصْحِبُنِى

فقال كيفَ وعنك الضوءُ محتجِبٌ ٭ والماءُ أعيَا مكانَ السعى من بَدَنِى

قال الضريرُ ألا لو كنتَ لى سندًا ٭ لَمَا أُصِبْنا بما نشكو من الإِحَنِ

تَعـالَ أَحملْك فوق المَنْكِبَيْنِ إلى ... مطالب الرزق أَبْغيها وتُرشِـدُنِي
تَسْعَى بمسعاىَ أنى تبتغي وأرَى ... بنا ظريكَ فهيًّا يا أخي أعِنِ
عاونْ صـديقَك فى أمرٍ يُحاوِلُه ... فالحُرُّ للحرِّ معوانٌ على الزَّمَنِ

العظة الخامســـة

(البخيل وابنه)

حكايةٌ عن رَجُلٍ بَخيلٍ ... رَاضٍ مِنَ المعيشـةِ بالقليلِ
إنْ أكلَ البيضةَ بعـد عاء ... قال دُجاجـةٌ بلا عظـامِ
أسرفَ يومًا واشترى تفاحَا ... وقصَـدَ الدارَ به صَـباحا
ووضعَ التفـاحَ فى الخِزانه ... وعَدَّهُ خوفًا من الخيانه
وكان كـلَّ لحظةٍ فثانيه ... يُعيدُ ذلك الحسابَ ثانيـه
فيأكلُ المطـبوبَ والقبيحا ... ويترُكُ الطيِّبَ والصَّـحيحا
فذاتَ يومٍ نَسِيَ المِفْتَـاحا ... فى بَابِ مُسْتَوْدَعِهِ وراحا
أبصَرَهُ ابنُـهُ فجاء يعجَلُ ... وقال للأصْحابِ هَيَّا وكُلُوا
ولبِثَ الغـلامُ مَعْ أَصْحَـابه ... حتى أتَى الوالدُ من غِيـابه
وقال مثـلى مالُهُ لا يُؤكَلُ ... ما بالُكُمْ فى صُنعِكم لم تعقِلوا
أجابه ابنُـهُ أَبِى لاتَغضبِ ... فمـا أَكلتُ منه غيرَ الطيب

يا حارِمَ النفسِ لجمع مالِ ✻ تُفنيه وُرَّاثٌ من الجُهَّالِ
أيجمعُ المالَ امرؤٌ يموتُ ✻ ومالَه فى المالِ إلا القُوت
إن قلتَ إنّى جامع للخَلَف ✻ كم خَلَفٍ يُقبَرُ قبلَ السَّلَف
أوقلتَ أخشَى من صروف الفَقْرِ ✻ مَن ذا الذى يأمنُ شَرَّ الدهر
ما أقطعَ الآجالَ للآمالِ ✻ وأسرعَ الآمالَ فى الآجالِ
قد كتبَ اللهُ على الحريص ✻ أن يتركَ الأموالَ لِلُّصوص
يعيشُ بالتقتيرِ فى دنياهُ ✻ وعن غنًى يُسأَلُ فى أخْراهُ
ماضرَّ من يَبْخَلُ بالموجودِ ✻ لَوِاشْتَرَى الحمدَ ببذْلِ الجودِ
فتِلْكَ حَتْمًا حالةُ البخيلِ ✻ فى ماله الكثيرِ والقليلِ
يدفعُ خَيْرَهُ بجلبِ ضيرِهِ ✻ مَالُ البخيلِ دائمًا لِغيرِهِ

العظة السادسة

(الديكان والنَّسْرُ)

قامَ ديكانِ يَطْلُبانِ قتالا ✻ مِثْلَ لَيْثَيْنِ قُوَّةً وصيالا
فانجلى النَّقْعُ والذى نالَ فيه ✻ ظَفَرَ النَّصرِ للمفاخرِ نالا
فتوارَى المهزُومُ فى رُكنِ عُشٍّ ✻ كادَ يُخْفِى عنِ العيونِ الظِّلالا
وتعالَى المنصورُ فى الطَّيرِ حَتَّى ✻ صارَ يَرْقَى الرُّبَا ويَعْلُو التِّلالا

نَافِشَ الرِّيشِ بَاسِطَ الْعُرْفِ كِبْرًا ... ثَانِي العِطْفِ مُعْجَبًا مُخْتَالا
عَبَّ من خَمْرَةِ الغُرُورِ فَأَضْحَى ... بَيْنَ جَمْعِ الدَّجَاجِ يُبْدِي الدَّلالا
ثم وَافَى نَسْرٌ فَخَطَّ عليه ... واحتواه بِمِخْلَبَيْهِ وَشَالا
ورآه المُهْزُومُ فى مِنْسَرِ النَّسْـ ... ـرِ فَأَبْدَى سُرُورَهُ واسْتَطَالا
ومضَى يملأُ الجهاتِ صِيَاحًا ... وأَقامتْ له الدَّجاجُ احتفالا
باتَ ذاكَ الضعيفُ فيها زعيمًا ... حينَ وَلَّى حكمُ القوِيِّ وزالا
نافذًا فى الدَّجَاجِ أَمرًا ونهيًا ... بَطَلَ القومِ حيث لا أَبْطالا
وإذا ما خلا الجبانُ بأَرضٍ ... طَابَ الطعنَ وَحْدَه والنِّزَالا

العطلة السابعة

(الفتاة والنجلة)

فتاةُ حُسْنٍ ذاتُ دَلٍّ يَبْهَرْ ... كانتْ على كلِّ الحِسانِ تَفْخَرْ
أَكبرُ شئٍ شاغلٍ نُهَاها ... أَنْ تَخْدُمَ الحُسْنَ الذى حلَّاها
تَلْبَسُ فى لِمَسَاءِ ما لم تَلْبَسِ ... وقتَ الصَّباحِ من ثيابِ السُّنْدُسِ
إذا مشت فمِشْيَةُ اختيالِ ... لِسُكْرِها من خمرةِ الدَّلالِ
تمضى وتثنى إلى المِرْآةِ ... فى الساعةِ المرَّةَ والمِرَاتِ
وبينما تلكَ الفتاةُ تنظرْ ... فيها وقد رقَّتْ وراقَ المنظرْ

إذا بنحـــلةٍ تدانَتْ منهـا * وقـد تلاهَتِ الفتاة عَنْهـا
حَطَّتْ على مَبْسِمِها النضير * ولَسَـــعَتْها لسعةَ السَّـــعِير
فأَعْولتْ واستصرختْ من الأَلم * فجاءَها بسرعةٍ كلُّ الخَـدم
فأَخذُوا النحلةَ للعِقـابِ * بلا سُـؤَالٍ وبلا جـواب
فقـالت النحلةُ يا أصحـابُ * ليس لمثـلى ينبغى العِقابُ
رأيت فى مبسِمِها آحمـرَارا * ظننته فى ثغـرِها أزْهَارا
وليسَ بين رِيقِها وشَهْدِى * فرقٌ فكيف لا أرده وِرْدِى
فأَطربَ الجوابُ تلك العَذْرَا * وعندَها قالت قبلتُ العُذرا
سامَحْتُها فى لسعِها الخفيرِ * كرامةً لقولِها اللطيف
فانظرْ إلى حلاوةِ اللِّسَانِ * والسحرِ فى المنطق والبيَان
فَرُبَّ لفظةٍ أَفادتْ نعمـــه * ورُبَّ لفظـةٍ أَتَتْ بنِقْمَه

العظة الثـامنـــة

(البَبَّغَـاء)

فتر من أَمْرِه إلى بُسـتانِ * بَبَّغـا كان زينة للجِنَان
فَرَّ من نِعْمَـةٍ وأَمْنٍ حَنَاناً * واشتياقا لرؤيةِ الأَوطَان
وادَّعَى الفنَّ فى الطيور فخالَتْ * أَنَّه رَبُّ صـنعةِ الألحان

كان يُزْرِى بشَدْوِها إن تغنّتْ ... بأَغانِى الأَشْـواقِ والأشجانِ
كلما أَطرَبت تلقّى غِناها ... بِصَـفيرٍ يُصِمُّ للآذانِ
وتمادَى على الغُرورِ لجهْلٍ ... جاءهُ من وساوِسِ الشيْطانِ
فأَتَتْـهُ الطيور بعـد ائْتِمارٍ ... قُلْ يا مُنْفَرِدَ الطيورِ الحِسَانِ
قد مَلِلْنَا منك الصفيرَ وملْنَـا ... لنشـيدٍ يُزْرِى بعَزْفِ القِيانِ
فإذا كنتَ فى الغِناءِ مُجيـدًا ... فتفضلْ ببعضِ تلك الأَغانِى
نأْخذُ الفَنَّ عنك صوتًا فصوتا ... مثنياتٍ عليك فى الأَفْنَانِ
فعراهُ من أَمْرِهِنَّ ارتبـاكٌ ... ورأى الحقَّ غالبَ البُهْتانِ
قال منّى يحلو الصفيرُ وأَمَّا ... غيرُ هذا فليْسَ فى الإمكانِ
قالت الطيرُ للحقيقة جئْنـا ... أَىّ دَعْوى صحَّتْ بِلا بُرهانِ
ظننتَ الأَوهامَ تُغْنِيكَ شَيئًا ... عند ما تنجلى شموسُ العِيانِ
كلُّ مَنْ يدَّعى بمـا ليس فيه ... كذَّبتْهُ شواهدُ الامتحانِ

العظة التاسعة

(وحشُ الجبلِ والطيورُ)

حِكَايةٌ عن غَنِىٍّ مَالَهُ عَمَلُ ... حُبُّ التظاهرِ فى الدنيا له شُغُلُ
بَدا له أَنَّ دعوى العلمِ رائجةٌ ... منه إذا باتَ للآدابِ ينتحِلُ

فأحضر الكتبَ لاعلمٌ لديه سوى ... أنّ الكتابَ خفيفٌ أو به ثقل
وصار يحضرُ أهلُ العلمِ ساحتَهُ ... على موائدَ فيها السَّمْنُ والعسل
ومِنْ عوارفِهِ لامِنْ معارفِه ... صارت تُصَبُّ على راحاتِهِ القُبَلُ
ولا معارضَ منهم إنْ بدا خطأٌ ... ولا مُجادِلَ فيهم إن بدا خطَلُ
ويرجعون إليه فى العلاءِ وما ... لَدَيْهِ من كأسِها نَهْلٌ(١) ولا عَلَلُ(٢)
و بالتملُّق قالوا لم نجد أحدًا ... جاراك فى العلمِ حتى النخبةُ الأوَلُ
فصار يَعْجَبُ كيف المالُ أبلَغَهُ ... تلك المكانةَ والجُهّالُ لا تصِلُ
وأبصرت عينهُ إذذاك وحشَ فلاً ... كلُّ الطيورِ له تسعَى وتحتفِل
تشدو بأصواتها والوحشُ يَسْمَعُها ... بلذّةٍ وهو من تغريدِها ثمِل
إذا أجادتْ أمالَ الرأسَ مُضْطَرِبا ... أولم تُجِدْ كان منه الرأسُ يعتدِل
حالَ رأى الجاهلُ المغرى بها عجبا ... وحادثٌ ريعَ منه ذلك الرجُل
فقال كيفَ طيورُ الجوِّ يرأسُها ... وحشٌ ويرهَقُها حُكْمٌ فتمتثِل
فقيل ذاك لأن الوحش يُطْعِمُها ... مما يَصيدُ وما من طبعِه البَخَل
من أجْل ذاك أجلّوه ولستَ ترى ... بين البريّةِ حُبًّا ماله عِلَلُ
أنظُرْ لنفسك أسديت الصنيعَ إلى ... قوم فصرت وأنت السيدُ البطل
والناسُ من يلق خيراً قائلون له ... ما يشتهِى ولأمِّ المخطِئِ الهَبَلْ

(١) النهل الشرب الأول وبه ضرب (٢) الشرب الثانى يقال علل بعد نهل

العظة العـاشرة

(الملكُ والراعيان)

بَعْضُ الملوك مُلْكُهُ قد ارتبك ... فصار يشكُو ما جَرَى به الفلك
إذا أرادَ الخـيرَ للرَّعايا ... لم تأتِه منهم سـوى الرزايا
وإن يُرِدْ سَلْمًا يلاقِى حَرْبا ... وان يُرِدْ سَهْلا يقابِلْ صَعْبا
وبينما ينظُـرُ فى البِقـاع ... إذا بأغنـام يليهـا رَاعى
تمشِى بهاتيكَ الرُّبا حَيارى ... كأنها من جوعِهَا سُكارى
وهُوَ وحِيـدٌ مالُهُ مُعين ... فى قفرة ليسَ بها قطين
وكلما سارَ رأى الذئابا ... تأخُذُ منه الْغَـنَمَ اغتصابا
فعنـد ما عاينَهُ المليـك ... قال إذَنْ لى فى الورَى شريكُ
إن الرُّعاة كالملوك تعبا ... لم يَبْلُغوا من الزمانِ أَربا
لهمْ فى الدنيا بلا نزاع ... سِـيَّانِ فيه ملكٌ وراع
وبعـدَ أن مَرَّ زمانٌ قَدِمَا ... أرضًا رأى فيهـا لِرَاعٍ غَنَمَا
وهـذه الأرضُ من الربيع ... قد كُسِيت بالسندُسِ البديع
والشاءُ فيهـا آمناتٌ تَرْتَعُ ... مع النَّتاجِ لا ترَى ما يُفْزِع
بطيئـةُ المشى ثِقالُ الجسْمِ ... لِمـا عليها من كثيرِ الشـحم

وكان راعيها يغنى طَـــرَبا * فى ظلِّ أغصانٍ تهزُّها الصَّبا
قال بلا شـكٍّ وعن قريب .. أرَى القطيعَ مَغنما للـذِّيب
وجاءَ ذئبٌ قاصدا عُدْوانا .. فقام كلبٌ وحمَى الخِرْفانا
وهبّ كلبٌ غيرُه سَـــريع .. يَدْرأ من يبدّدُ القطيعا
فدُهش الملْك وقال عجَب .. رعيـةٌ غُفْلٌ وراعٍ طَـرِب
يأيها الراعِى أتَثْوِى[1] لاهيا .. بينَ الخطوب تُنْشِدُ الأغانيا
فقـال يامولاىَ كلُّ حازِم .. من الوُلاةِ فى هناءٍ دائم
إنّى انتقيتُ أصدقَ العُمّال .. لِكلِّ أعمالى فقـرَّ بالى
أخذتُهم على الأعادى حِزْبا .. من خَشِى الذئبَ أعَدَّ كَلْبا

العظة الحـــادية عشـــرة

(الحَمَلُ[2] والذئبُ والليثُ)

حَمَلٌ أبصرَ ذئبا فى الفَـلا .. ورأَى الشرَّ بدا من مُقَـلِه
فاعترَتْه رجفةٌ من خَوفِه .. وتَمَشَّى حائرًا فى خَبَـلِه
فاحتمَى بالليثِ كى يحفظَهُ .. ورأى فى الليثِ أقصَى أملِه
فأتاهُ الحتفُ من مأمَـلِه .. وانقضَى ما يرتجِى من أجَلِه
رُبَّ من ترْجُو بِهِ دفعَ الأذَى .. عنكَ يأتيكَ الأذَى من قِبَلِه

(١) ثوى يثوى أقام (٢) الحمل بفتحتين ولد الضائنة فى السنة الأولى والجمع حملان

العظة الثانية عشرة

(الفلّاحان والسحابُ)

رأى السحابةَ فلاحٌ فراحَ إلى ٭ أخيهِ وهو كئيبٌ كاسفُ البال
فقال قِفْ وتأمَّلْ فى السحاب تجِدْ ٭ به السوادَ الذى يأتى بأهوال
ففيه للزرعِ أتلافٌ ومنفعة ٭ يغلُو الرخيصُ به أو يرخُصُ الغالى
أجابه تلك أرزاقٌ مقسَّمة ٭ والمرءُ مابين إعزازٍ وإذلال
غدا يُفيض علينا فى مزارعنا ٭ فيضًا من الماءِ بل فيضًا من المال
هو السحابُ أتى بالخير عن عجَل ٭ ترى العِطاشُ به تحقيقَ آمال
وطال بينهما ذاك الجدالُ إلى ٭ أن قَشَّع الريحُ تلك السُّحْبَ فى الحال
فقال لابنِ أبيه بعد ما أخذَت ٭ تلك الغيومُ التى مرت بترحال
إنّ الذى فى ضمير الغيبِ مستترٌ ٭ فلا يفيدُك فيه كثرةُ القال
دع المقادير تجرى فى أعنّتها ٭ ولا تبيتَنَّ إلّا خالىَ البال
ما بين طَرْفةِ عين وانتباهتِها ٭ يُغيِّرُ اللهُ من حالٍ إلى حال

العظة الثـالثة عشرة

(الجيران)

هِرَّانِ فى بعضِ البيوتِ سَكَنَا * واختلفا نَحافَةً وسِمَنا
فكانتِ النعمةُ للكبير * تُكْسِبه نُعومةَ الحرير
ينامُ ملءَ العينِ فى مهدِ الكسل * وكلما اشتاقَ إلى الأكلِ أكل
يجرى وراءَ الفأرِ أنَّا يُمْسِكُهْ * مُداعِبًا وبعدَ حينٍ يَتْرُكُهْ
فجاءه يومًا أخوه يشتكى * من سُوءِ حظٍّ فى زمانٍ مُهْلِك
يقول كم ألقى الأذَى والنِّقْمَهْ * إذا سعيتُ فى طِلابِ اللُّقمه
قد فاتنى المأكولُ والمشروبُ * وشدَّ ما أجهدنى اللُّغُوبُ
أجابَه لكِنَّنِى بِسَبْكِى * أعيشُ مجدودًا(١) بغيرِ شاكِ
أجلسُ فى عشيرتى بأدَبى * مُداعِبًا ملاعِبًا بذنَبى
أجمعُ من طعامِهم ما الدَّلى * وذاك من بعضِ صنوفِ حِيَلِى
والفأرُ لا أنالُه بصيْرى * تركتُه لكلِّ هِرٍّ غيرى
لأننى أُغْمَرُ بالصلاتِ(٢) * من صِحَّتِى الكِرامَ فى الحياة
وأنت فى الدُّنيا كثيرُ الجِدِّ * والجِدُّ فى زماننا لا يُجْدِى

(١) محظوظا غنيا (٢) العطيات (٣) لصلة الموادة

تسعَى لنيل العيش بالأعمال ✻ ماأضيقَ العيشَ على الرجال
أفاضلُ الرجالِ حرب الزمن ✻ والدهرمُغْرًى بالأديب الفطِن
ومن تراه عاقلًا لبيبا ✻ يعيشُ طولَ عُمْرِهِ كئيبا
عَلَى الفتَى ذكاؤُه محسوبُ ✻ وكلّ مايَجْرى لَهُ مكتوب

العظة الرابعة عشرة

الدرويش والقُبَّرَة والصَّقْر)

قد ادَّعَى الزهدَ فى دياهُ أنسان ✻ وباتَ وهْوَ عَدُوُّ السَّعْى كسلان
وقد تزيَّا بزى الناسكين بلا ✻ نُسْك وأَضْحَى وَلِيًّا وهْوَ شيطان
وصار يَسْأَلُ فضلَ الناسِ تَقْذِفُه ✻ إلى التسـوُّل أمصارٌ وبُلدان
فذاتَ يوم رأَى فى العُشِّ قُبَّرَةً ✻ صغيرةً ما لها حَوْلٌ ولا شان
وأبصر الصَّقْرَ يسعَى بالنشاط وفى ✻ منقارِهِ من صنوف الحبِّ ألوان
فصار يُطعِمُها حتى إذا عطشت ✻ أتى بماءٍ زُلال وهو جَذلان (١)
فقال فى نفسه الدرويش معتبرا ✻ يارَبِّ أنت بِكلّ الخلقِ رَحْمنْ
عَمَمْت يارَبِّ بالنُعمى فلا أحدٌ ✻ إلَّا وأَنتَ له فى الضيقِ مِعوان
جعلت فى قلب أقسى الطير مرحمةً ✻ على الضعيف وهذا منك إحسان

(١) فـــرِحٌ

فالآن أنعسُ ملءَ العينِ متّكلاً * مادام يُرزَقُ يقظانٌ وسْنانَ
فلازمَ الكُوخَ[1] لم ينهَض لرزقِ غدٍ * وباتَ وهوخلِيُّ البطنِ خمصانَ
وكلما مَرَّ حينٌ غرَّهُ أملٌ * وكم بآمالِه يغترُّ إنسانُ
وشاهدَتْ عينُهُ في نظرةٍ عَرَضت * عُشَّ الطيورِ وفيه الصَّقْرُ غضْبانَ
يدعو ربيبَته هُبِّي إلى عملٍ * تَقْضينَه فَضَياعُ الوقتِ خُسْرانُ
إنّي أعينُ بنفسي كلَّ ذي وَهَنٍ * ولا أعينُ الكُسالى أينما كانوا
خلائقُ الله أعوانُ النشيطِ وهم * على الفتى القاعدِ المحرومِ أعوانُ
وطارَ من بعدِ ما أدّى مواعظَ لا * يصوغُ أمثالَها قُسٌّ وسَحْبانُ
فأدرِكِ الرجلُ الدرويشُ متعظا * أنّ التنسُّكَ دونَ السعيِ حِرْمانُ
لن يُرْزَقَ المرءُ عونا في مطالبِه * إلّا إذا ما اغتدى والسعيُ معوانُ
دعِ التكاسلَ في الخيراتِ تطلُبُها * فليس يَسْعَدُ بالخيراتِ كسلانُ

العظة الخامسة عشرة

(الأسدان)

قد التقى أسَدا قَفْرٍ على سغَبٍ[2] * لا ماءَ ثَمَّ[3] ولا فَيْءٌ وأدغالُ[4]
فنقّبا عن مياهٍ يرويان بها * صَداهُما والصَّدَى في الحرِّ قتّالُ

---

(١) العش (٢) الجوع (٣) هناك (٤) كثرة النبت

حتى إذا آنسا ماءً وقد كَرِبت * يَدُ المنيـــة للَّيْثَين تغتـال
حتى استشاطا وساءت منهما الحال (١) جَدًّا وحاول كلٌّ سبقَ صاحبِـهِ
كما تصالح إثرَ الحـربِ أبطـالُ تصاولَا ثم كَلَّ العزم فاصطلحا *
فكان ما حسبا ماءً هو الآل (٣) وبادرا الماءَ مزدادا (٢) أوارهما *
إلى الدنيئاتِ والأهواءُ أهوال الشرُّ طبعٌ ودنيا المرءِ قائدةٌ *

العظة السادسة عشرة

(الصُّرصُر)

قد كان فى روضٍ أنيقٍ صُرصُر * مختبئٌ فى تُرْبة لا يَظْهَـر
رأى غَرِيشةً بِهِ تطيرُ * من زَهرةٍ لِزَهرةٍ تسيرُ
وحيثما تختالُ فى البُستانِ * تسبِى النهى بحسنِها الفتَّان
فحزنَ الصرصرُ لما شهدا * جمالَها وبات يبكى حَسَدا
وقال فرقٌ بينها وبينى * لُحْسنِ عينِها وقبْح عينى
وليسَ مثلِى من ذوِى القرائح * ولا أنا صاحبُ عقلٍ راجح
وليس لى فى العالمين ذِكْر * وعَلَّ عندهم وجودِى نُكر
وبينما يهجسُ هذا الهاجسُ * فى فكرِهِ وكلُّه وساوِسُ

(١) اغتاظ (٢) العطش (٣) السراب

رأى ثلاثةً من الغِلْمان * وراءها يجرُون فى البستان
جَرَوْا وكلٌّ مُولَعٌ بَخَتْلها * لأنها أغرتهم بشكلها
وأوقعوها فى شِراكِ الصائد * بحيلةٍ بعد عناءٍ زائد
وشدَّ ذا الرأسَ وذا الأورَاكا * وأوردُوها الحتفَ والهلاكا
وشاهد الصرصُر هذا فاعتبر * وقال إن العُجْبَ آيةُ العِبر
وكلُّ مَن يظهرُ بين الناس * بالفضل كم قاسَى وكم يقاسى
أشهَدُ أنّ الاختفاءَ جُنه (١) * من كل شرٍ والظهورُ جنه (٢)
وقد سمعتُ مثلا مشهورا * حُب الظهورِ يقصِمُ الظُّهورا

العظة السابعة عشرة

(الفيلسوف)

يدرى بسِرّ الناسِ كلُّ خبير * والناس كالأيام فى التغيير
فدَعِ النفوسَ المائلاتِ إلى الهوى * تسعَى كما شاءتْ يدُ التقدير
وإذا تشابهت الأمورُ على الورى * خفِيتْ عليهم حكمةُ التدبير
لاشىءَ أخفَى فى الضياءِ من الهُدَى * إن كنتَ عند الحق غيرَ بصير
هذا الذى ترك العبادَ طرائقا * فى أمرها والأمرُ غيرُ يسير

(١) وقاية (٢) جنون

إنّ الأديبَ الحُرَّ حربُ زمانه ... تُلْفيه فى الدنيا بغير نصير
وحياتُه فيها شقاءٌ دائم ... وكذا حياةُ متاعبُ التحرير
ماذنبُه إلاّ الكمالُ وأنه ... فى الدهر لم يَسْمَحْ له بنظير
كُتِبَ الشقاءُ على الحكيم الفيلسو ... فِ لعنةٍ فيه وحسنِ ضَمير
تُروى حكايتُه النفوسَ حقائقا ... تُنْبى ولا ينبيك مثلُ خبير
قد عاش هذا الفيلسوفُ مهاجرا ... لبلادِه ومفارقا للدُّور
حتى اعْتَدَى ظُلْما عليه قومُه ... ونَفَوْه عن وَطنٍ بدعوى زور
فنأى وشطَّ به النوى متغربا ... مستسلما لحوادث المقدور
فرأى طيورا فوق هزّ حَلَّقتْ ... يَتْقُرْنَه والهزُّ مثلُ أسير
ويصفْنَه بجنايةٍ فى قومه ... تدعُو إلى التحقيرِ والتشهير
فرثى الحكيمُ الفيلسوفُ لحالِه ... فى ذُلِّه وجَناحِه المكسور
وأقام يسألُه عن الذنب الذى ... ألقاهُ فى همٍّ وسوءِ مصير
فأجاب لا ذنبٌ علىَّ وإنّما ... فضلى فتضى من دونها تحقيرى
أنا فى الظلامِ أرى الخفىَّ بناظرى ... وهى التى لا تهتدى فى النور
لو كنت أشبهها وتُشبهنى لمَا ... حقدَتْ ولكن فُقْتُها بكثير
ماضرّنى حسدُ اللئامِ ولم يَزَلْ ... ذُو الفضل يحسدُه ذَوُو التقصير

العظـــة الثـامنة عشرة

(العالم والمزارع)

قصـــةُ فلّاحٍ حكيم فطِن ... مُخَنَّـك يَدْرِى بسر الزمَنِ
تقصـــدُه الناسُ من لبلاد ... فى طاب الحكمةِ والإرشاد
تراهُمُ لديهِ فى جلوسِهـــم ... كأنّما الطـيرُ على رءُوسهم
وكان كلُّ جملة يقولها ... سَلَافة تُسكرهم شَمـولُها
وكلُّ إرشـاد وكلُّ وعْظ ... يلعَبُ بالعقلِ لسِحرِ اللفظ
يَمَّمه فتًى من الأخيـار ... قَدْ دَرس العلمَ بلا اختبار
قال له عمن أخذتَ حكمه ... ومن تكونُ من رجال الأمه
أجاب ما اتخذتُ فى مُسْتَنَدِى ... ولا نجعاتُ الكُتْبِ فى بلادى
بل حكمتى فى فكرى لمطيعة ... هـذّبتُها بخـبْرةِ الطبيعـة
عين الفتى لعقـله دليل ... وعقـلُه لذاته تكميل
وكم لنـا فى الحيوانِ لأعجم ... علم صحيحٌ للذى لم يعـلَمِ
عن الحمَام قد أخذتُ الألفَه ... فارتفعتُ بها شروطَ الكُلْفه
والنملُ قد أفادنى ادّخارا ... والثورُ قد أكسبنى اصطبارا
ورقّةُ الطبع من النّعاج ... ورأفةُ القلب من الدّجاج

وقد أخذتُ عن كلاب الدّور ... تيقّظى لعُقبـــةِ الأمـور
فصرت شيخًا عاقلًا حكيما ... بكلّ أحوال الورى عليما
وأشرتُ أقوامى على المَاصحه ... عاملتُ من عاملتُ بالمسامحه
فنلتُ حُبًّا من جميع الناس ... ومُستهم بالحلم والقسطاس
فالبأسُ من نتائج المصاعبِ ... وحجّةُ العقولِ فى التجاربِ

العضلة التاسعة عشرة

(لأرنبٍ وأصحابه والتيسانِ الجبليانِ)

قيل كانتْ من الأرانب أنثى ... تبتغى صاحبًا يُحَمى لضيقِ
وهُمُ الناسُ مابهم من حبيب ... يومَضيمٍ ومابهم من صَدوق
تتلقى كلًّا بأهلًا وسهلًا ... وتلاقى كلًّا بوجهٍ طليق
أيّما أرنبٌ يمـــرُّ دعتْـــهُ ... للقرى عندها بعُشْبٍ أنيقِ
وبماءٍ يُروى الأُوامَ(١) قَراحٍ ... راقَ حتى صَفا صفاءَ الرحيقِ
طوقتْ جيدَ كلّ من صادفتْهُ ... وامتلاكُ الأحرارِ بالتطويق
بَيْنَما فى الصَّباحِ كانتْ بجُحْرٍ ... قَرّةَ العينِ هاجها صوتُ بُوق
ساقها الخوفُ للمرارِ ففرّت ... فاقتفاها بالعدْوِ كلُّ سَلُوقِ(٢)

(١) العطش (٢) كلب صيد

كلّما صار قُربَها خلّصتْها * وَثَبَاتٌ منها كخطف البُروق
تترامى وتَنْهَبُ الأَرضَ حتى * كاد يُودِى بها جَفافُ العُروق
فرأت أرنبا فقالت أُخْتى * ياصديقى بحقّ ودّ وثيق
قال عُذرا فزوجتى فى مخاضٍ * وعلى الزوج كم لها من حقوق
فتولّت والكلب يقفو إلى أن * مَرَّ ثورٌ يقُربها فى الطريق
فشكت حالَها وقالت أجرنى * ياشديدَ القُوَى غَصَصْتُ بريقى
قال إنى نَوَى الرحيلَ ومالى * بعدها ذاب من محبّ شفيق
فرأت أن نَفْسَ النفس لكن * لاحظتها عنايةُ التوفيق
فانبرى للعدوّ تيسانِ لمّا * رأياها على أشدّ الضيق
نَجّياها من بعد أن صدّ عنها * كلُّ مستنجِدٍ وكلّ رفيق
ثم قالا لها دَعى كلَّ خِلٍّ * يَخدَعُ الناسَ بالكلام الرقيق
إصرِفِ النفسَ عن كثيرٍ من النا * سِ فما كلّ مَنْ تَرى بصديق

العظـــة العشرون

(الكلبُ والهرّ)

كلبُ أمينٍ عاشَ عند صاحبه * دهرًا وكان قائمًا بواجبه
فلم يَصُنْه بعدَ تلك الحال * والمرءُ مفتونٌ بجمع المال

فباعَهُ بأبخسِ الأثمـانِ * وهذه من شيمة الإنسان
فنُقِلَ الكلبُ لدار الشارى * وقلبُه لحزينُ فى انكسار
وبين جنبيه من الفـراق * نار كوجد المُغْرَمِ المشتاق
حتى إذا ماطلعَ الصبـاح * وابتهجت بنُورِه الأرواح
أسرعَ يجـرى هائما متيمًّا * يؤُمّ ذلك الصاحبَ المقدّما
قال له بائعُـهُ غضبـانا * إذهبْ فأنت ملكُ غيرى الآنا
وكان فى المنزلِ هِرٌّ هَرِم * فقال للكلب لِمَـاذَا الندم
ماأعجبَ الدهرَ ومن عجائبه * تقلُّبُ الإنسان فى قوالبـه
لاتخدَعِ النفس بمرأى الظاهر * فالله يجرِى المـرء بالسرائر
وارضَ بما قدّر فى الوجود * وقنِعْ إذا شئت بالموجود
لاخيرَ فى الناس على الإطلاق * فوُجدهم ضربٌ من النفاق

العظة الحادية والعشرون

(الليثُ والسِّنجابُ)

قد كان يلعبُ سنجابٌ على شجَرٍ * ويثب على كل غصن وهو جَذْلانُ
فأفلتت منـه رِجلٌ مَرَّةً فهوى * واصطكّ بالليثِ حين الليثُ وسنانُ (١)

(١) نعسان

فاستشعر الخوفَ واهتزت فرائصُه ... لمّا رنا حولَه (١) والليثُ غضبان

فرقَّ قلبًا عليه ثم قال له ... عفوتُ عنك فلا تأخذْك أحزان

أراكَ من كلّ همٍّ قد خلوتَ فما ... أفضى إلى مَرَح والدهرُ يقظان

قد نلتَ حظَّك دوني كيف ذلك لي ... على وحوشِ بقاعِ الأرضِ سلطان

فقال دَعني إلى غُصني أطيرُ وخُذ ... مني الجوابَ بشرح فيه تبيان

فنالَ منه الرِّضا وانسلَّ من يده ... والقلبُ بالأمن بعد الخوف ملآن

فقالَ وهْو على الأغصانِ ينصحه ... والنصح في الخَلق إجمال وإحسان

إني نزعتُ لباسَ الشرّ عن خُلقي ... فما على الخلقِ يوماً منهُ طغيان

أعفو وأصفحُ عنهم خِفْتُ وجِلا ... بِرًّا وتقوى وبعضُ الخوفِ إيمان

فعشت في فرَحٍ لا شيءَ يؤلمُني ... ولا يكدّرني ما عشتُ حِرمان

أقاسمُ العيشَ أهلي لستُ أمنعُهم ... رِفدي (٢) وحسنَ الوفا مني وإن خانوا

أنامُ ملءَ عيوني عن عيوبهمُ ... وأنت تبحثُ عنهم أينما كانوا

فصار عيشك عيشاً كلُّه كدَرٌ ... وصار ربحك يَمْو وهو نُقصان

أسعى لنفسي وتسعى للطعام وما ... سيّانِ نفس لها يُسْعَى وجُثمان

فانهَضْ إلى الروح واستكمِلْ فضائلَها ... فالمرء بالرُّوح لا بالجسم إنسان

---

(١) نظر (٢) عطيتي

العظة الثانية والعشرون

(عدلُ خلفاءِ الاسلام)

شَـيَّدَ فى زمانِهِ المأمونُ ... قصرًا أبانت حسنَهُ الفنونُ

لم يحكِهِ قصرٌ من القصـور ... فى سالف الأيام والعُصور

وكان كوخٌ (١) بإزاء القصْر (٢) ... ككَلَفٍ (٣) يَشِينُ وجهَ البدر

لحـائِكٍ من الورَى فقـير ... مُبتَهِـج بعيشـه النضـير

خالٍ من الدُّيونِ والمتاعب ... مقتنـع بقسـمَةِ المكاسب

فأمر الخليفـةُ الـوزيرا ... يومًا إلى الحائِكِ أن يسيرا

ليشترى الكُوخَ من المسكينِ ... على رضًا بالثمنِ الثمين (٥)

فرفضَ الحـائكُ ذاك البيعا ... ولم يوافقـه عليـه طَـوعا

وقال إنى قانـع بمـالى ... مغتبط بحسنِ هـذى الحال (٦)

فمـنزلى استُ غنـيًّا عنـهُ ... فكيف أرضَى بالخُروجِ منهُ

فيـه تُـوفِّى والدى وإنى ... وُلِدتُ فيـه فإليـكَ عنّى

مولاى لا يُرضيه هَدْم دارى ... ظُلمًا وهتْكُ حرمَـةِ الجوارِ

فإن ظلمتَنى شكوتُ حالى ... إليـه كى يُنصفَنى فى الحال

---

(١) عش (٢) جانب (٣) النقط السوداء فى سطح القمر (٤) ناسج
(٥) الغالى (٦) الغبطة تمنى مثل ما للغير والمراد النعمة

فالظلم طبعٌ فى نفوس الناس * والعدل خُلق فى بنى العباس
فغضب الوزيرُ ثم أمرا * بهدْمه حتى أزال الأثرا
وعندما جاء الخليفةَ الخبرْ * تبدّلَ الصفاءُ منه بالكدر
وقال للوزير ماهذا الشطط * كلُّ الذى فعلته عَيْنُ الغلط
أعِدْ إلى جارىَ ذاك المنزلا * شِيمتُه فى قومنا أن نعدلا
حتى يَرى بعدِىَ كلُّ الناس * أنّى حفظتُ ملك القسطاس
وتسمع الذكرى بعدلِ الباني * فى ملكه والذكرُ عُمرٌ ثانى
على الفتى آثارُه تدُلّ * بقدرها يُحْتَقَر أو يُجَلّ

العظة الثالثة والعشرون

(البُلبلُ والراعى)

حَلّ راعٍ يوماً بروض أريض * ناضرِ الزهر دِى دياهٍ عِذاب
حولَ أشجاره الجداولُ تجرِى * كخلاخيلَ فى كعوب الكِعاب (١)
نَظَرَ البدرَ فى السماء جلياً * لم يعارضه عارضٌ من سحاب
فأطال الجلوسَ ينظر بالفِكْرة آلاءَ ربّه الوهّاب
وإذا بُلبُلٌ على الأيْكِ يشدو * يَمْلِك السامعين بالإعجاب

(١) الأبكار

بعـد أن غرَّد الأغاريدَ حينا * كفَّ عنها وصدَّ بَعْدَ اقتضاب
فـدعاهُ الراعي وقال رُوَيْدًا * قطعُكَ الصوتَ لم يكن بصواب
هل لترك النشيد يا بلبـلَ الأفـــراحِ داعٍ جُدْلى بردِّ الجواب
قال ما دامتِ الضفادعُ هذى * فى نَقيق فإنَّني فى اضْـطرَاب
قال دَعْها تهذى وتهرِفُ جهلا * فهى ليست معدودةً فى الحساب
فامضِ فى شَدْوك الرقيق وغرِّدْ * لا يضرُّ السحابَ نَبْحُ الكلاب

العظة الرابعة والعشرون

(الغلامُ والمرآة)

قد شبَّ فى إحدى القُرى غُلامُ * لم تُعطِـــهِ كمالَهُ الأيَّامُ
فنظر المـرآةَ وهو يخطـــو * ولم يكن قبلاً رآها قطّ
فـزاد حَـيْرَةً بمـرأى ذاتِهِ * لمـا رأتها العينُ فى مرآته
وحين أبدى ثغرُه ابتسامَه * صوَّرها الشكلُ الذى أمامه
فعاجلتْـه عند ذلك فـكره * كعادة الأطفال أخفتْ بِشره
فغيرتْ صـورتَه فى الحـال * وغادرته ضُحْكة الأطفـال
فـزادَ فى نفـورِهِ من شكلِهِ * لأنه قـــلَّدهُ فى فعـــله

وهَـمَّ فى الحـال بلا أناةِ (١) * فحطَّمَ الشـكلَ مع المِـرآة
وصار يشكو نصَبًا من فعله * وما جنى عليـه غيرُ جهـله
فوقت الأمُّ وضمَّت صدرَه * وقبَّلتْ من الحَنَـانِ ثغْـرَه
قالت له ألستَ أنتَ البادى * وهل سِوَى نفسِك كان العادى
أجابها أجَلْ لقَدْ شرعتُ * فما له يصنعُ ما صنعتُ
قالت له لقد ركِبْتَ الوهما * وانما رأيت منك الرسما
وذاك الشـكلُ الذى تأبَاه * كلّ الذى أجريتَـهُ أجراه
الآن فانظرهُ وأنت مبتسم * تجـدْه أيضا بالسرورِ يبتسم
فإن فعلت الخـير تَلْقَ خيرا * وإن فعلت الضـير تَلقَ ضيرا
فالمـرء مجزِىٌّ بكل مافعـل * إن الجزاءَ حقٌّ من جنس العمل

العظة الخامسة والعشرون

(الطـائر)

أنِسَ من الطير بعدَهُمْ * جاءت بمَرْجٍ والعَقْمُ عَارُ
فبدَّلَتْ حزنها سرورا * وهكذا تَفرح الصِّـغار
كانت عليـه تغارُ حتى * تكادُ من نفسـها تغـار

(١) حـــلم والرواية

تعطيه ما يشتهيه منها ... حتى بدا فيه الاغترار

وتاه بين الطيور عُجبًا ... وما عليها له فخار

فبالغت أمه بنصح ... له وعنها به ازورار

تقول حذرني واعلم ... ان طيور الفضا شرار

دع ذلك زهوًا واجتنبه ... فالزهو من بعده الخسار

يحبك الطير ثم ترضى ... صغارُه عنك والكبار

فلم يفد نصحها بشيء ... ولم يرُض خُلقه اعتبار

وأطلقته فطار يومًا ... وشطَّ عنها به المزار

فازور طير لأنه عنه ... وزاله منهم احتقار

وقال منها له غريب ... جاءك من جهلك البوار

وقنص منه بالتفريش ... وهو تقي له الفرار

فرح في حسرة وذل ... مضطربًا مالَه قرار

وعاد نحو الحمى حزينا ... ونفسه كلها انكسار

من لم يؤدبه والداه ... أدبه الليل والنهار

العظة الســادســة والعشرون

(السنجابُ والكلبُ والثعلبُ)

جمعَ السنجابَ والكلبَ معـا ... خالصُ الودِّ وصدقُ الأوفيـاء
خرجا صُبْحا يَسيحانِ ولم ... يأكُلا حتى أتى وقتُ المَسَاء
فابتغى الإلفانِ مثـوًى لهما ... هاتهِ الليـلةَ فى ذاك الفضاء
فانتقى الكلبُ وِجَارا[2] غائرا ... واصطفَى السنجابُ غصنا ذا علاء
ثم حينَ الليـلُ أرخى سِترَه ... أقبل الثعلبُ مشهورَ الدَّهـاء
فرأى السنجابَ فى الغصن ولا ... يملكُ الوثبَ إليـه فى الهـواء
فسـعَى بالمكرِ كى يُـنْزِلَه ... قائـلا ياخيرَ كلِّ الأصـفياء
أنا أقلقتـك فاغفـر زَلَّـتى ... فَهْىَ عن حُبٍّ صحيح ووَلاء
كان أوصانى أبى فى صِغَـرى ... بمـراعاتى لكم عهدَ الإخاء
لك عنـدى حصـةٌ آيـلةٌ ... من تُراث عن أُناسٍ أقـرباء
فدَرَى السنجابُ ماينوى ولا ... تنفعُ الحيـلةُ عنـد الأذكياء
قال فى الحـالِ انتظرنى إننـا ... سنقضِى العمرَ فى عيشِ الرخاء
غـير أنّى لى نديمٌ هـا هُنـا ... نائمٌ فى الجُحر من طولِ العناء

(١) دابة كالثعلب وجلده من أعظم الفراء (٢) جحر

نظـرِ الجحرِ وأيقظَ صاحـــبِي ... وهو مثـــلى فى اشتياقٍ للّقـاء
فرأى الثعلبُ أن حانت لَهُ ... فرصةٌ يغـــنَمُ منهـا ما يشـاء
قال إنّى آكـلُ اثنـــينِ وما ... أكلُ صيدين وصيدٍ بســـواء
فـــدهاهُ الكلبُ إذ أيقظـــه ... وفـرت أنيـابه منـــه الفِراء
وســـقاه كأسَ مـــوتٍ عاجلٍ ... وشـفى الغُـلّةَ من تلك الدماء
كلّ من يحفـرُ حُبًّا وقعَ ... فيـــه وجـانى لَهُ شرُّ الجزاء

العظة السـابعـــة والعشرون

(العُصفورُ الكاريةَ والحَسُّونُ)[1]

دسَّ فتًى من صادة الأطيار ... بيضـــةَ حسُّونٍ على (كَنَارِ)
فبقيتْ كبيضـــه فى العُشِّ ... وما درَى بأمر ذاك الغشِّ
حتى انجلتْ وفرخُها فى التَّقفِ ... فكان للأفراخ خير إلفِ
ما بين أمٍّ تعتنى ووالدٍ ... يعـــودُها بصـلةٍ وعائدِ
ويُطعِمُ الجميـــعَ بالترتيب ... وللبعيـد أسْـــوَةُ القريب
وكلّها على فِـــراشٍ واحدِ ... مضطجعٌ كإخْـــوَةٍ لوالدِ

(١) العُصفور ذو ألوان بحمرة وصفرة وبياض وسواد وزرقة وخضرة يسميه أهل الأندلس أبا الحسن والمصريون أبا زقيه

حتى إذا ماعظمتْ قُـواها ✻ ودَرَجَت تحمِلُها رجـــلاها
لم تُرَفيما بينهـا من فَـرْق ✻ والحبّ يُعمِى عن طريق الحق
و بينما الجميـــعُ فى الرياض ✻ وكلّ إلفٍ عن أخيه راضى
وقد رأى الحسُّونُ هذا أهلَه ✻ فى الروضِ لايخالفون شكلَه
والبعض منهم قال يا ابن جنسى ✻ ما اخترتَ من قوم فدتك نفسى
إنك فى صُحبتهم مَغبـــون ✻ فلا خَلَتْ من رأسِكَ العيون
أما ترى لونَهُـــمُ المصـفَرا ✻ ولونَكَ المخـالِفَ المُحمـر
إلى متى بالغَيّ والتَّـلاعُبِ ✻ تَسْتَبْدِلُ الأَصْحابَ بالأَقارِبِ
إنّا على البِعـاد والتفـــرق ✻ لَنلتقِى بالأصـل إن لم نلتق
ومن يكن يَصحَبُ غيرجنسِهِ ✻ فجاهلٌ والله قـــدرَ نفسـه
فقـال قد صحبتُها طـويلا ✻ فـــلم أجد لودّها مَثيـــلا
فإن تكن أشكالُنا مختلفـه ✻ فهـــذه قلوبُنا مؤتلفـــة
حاشاى بعد الودّ أن أكونا ✻ لمن مُنِحْتُ ودَّه خؤونا
رُبَّ ابن عمّ ليسَ بابن عم ✻ رُبَّ أخٍ لِى لم تـــلده أمى

العظة الثامنة والعشرون

(الثعلبُ والليثُ والأرنبُ)

رأى ثعلبٌ فى عُرْضِ صحراءَ أرنبا ٭ فهبَّ إليهِ واثبا خَلْفَـــهُ يَعْدُو
فطاردهُ(١) فى الحال ليثٌ وصادَهُ ٭ وكان نصيبَ الثعلبِ الجُدُّ والكَدُّ
فلمـا رآه فى يد الليث عافَـهُ ٭ وحجةُ من لم يبلغ الأملَ الزهـدُ

العظـــة التاسعة والعشرون

(الفـــلاحُ والنهرُ)

قال فـتًى لأحدِ الأصحـابِ ٭ إنى استخرتُ الله فى المتابِ
فقد سئمتُ كثرة الزَّلّات ٭ وفَرْطَ الانهماك فى اللـذات
قال لهُ الصاحبُ دونك العمل ٭ فكلُّ من سارَ على الدرب وصل
إنّ كمالَ النفسِ فى الفضـيلَه ٭ وعيبُهـا النُّقصانُ والرذيله
أصـغَى إلى النُّصح وما وعاه ٭ وظـلَّ سـائرًا على هـــواه
ثم تماشـيَا بقـــربِ نَهْـر ٭ وشاهَـدَا المياهَ فيه تجرِى
فصـادفا فى شـــطِّهِ فلّاحا ٭ يرودُ(٢) غـــير مُزْمِـــع بَرَاحا
يقـول أبتغى عُبـور النهـر ٭ وليس من سـفينةٍ أو جسر

---

(١) حَمَل عليه (٢) يطلب

لذاك فى النهرِ أجيـلُ الطَّرْفا ❊ أرقبُ هـذا المـاءَ كى يَجِفَّ
فالتفت الناصحُ إرتيـاح ❊ وقال للفـتَى وللفـلّاح
كلا كما فيما تمنَّى أحمـقُ ❊ وفى الضلال مُوغِلٌ ومغـرقُ
لمـاء لا يجِفّ فى مَجْـراه ❊ ولا يتوبُ راكبٌ هوه

العظـــة الثلاثون

(البُومةُ والحمامةُ)

تشكَّتْ بُومةٌ أن لا حبيبٌ ❊ ولا بعـلٌ ولا خِلٌّ صـدوقُ
وقالت قد كبِرت وهُدّ جسمى ❊ وخانتنى المفاصـلُ والعـروقُ
فلا أحدٌ يزورُ عجـوزَ دهـرٍ ❊ وإن زاروا فإنى لا أطيق
فجاءتها الحمـائمُ باكياتٍ ❊ ومدمعُهـا بشكواهـا طليق
وقالت قد سمعتُ فذاب قلبى ❊ وفى قلبٌ من الشكوى رقيـق
فمـالكِ والشَّـبيبةُ قـد تولت ❊ ولا ثمـرٌ ولا غصنٌ ورِيق
رضيتِ بالانفـراد فلا قريبٌ ❊ ولا زوجٌ ولا ولد شفيـق
أجابت فى الزواج أذًى وضُرٌّ ❊ وفى الأولادِ شـرٌّ أو عقـوق
وما قصد القريب سوى حِمامى[1] ❊ لنيـل الإرثِ فهو له طريق

---

(١) الموت

أجبتها الحمامـة إنّ هـذا * كلامٌ بالأُلَى يأســوا خليـق
خذى لك فى حياة خليلَ صدق * فبالأحبـاب يتّسـعُ المضيق
فقـالت ليس فى الأحبابِ خيرٌ * وكلّ نحـوَ غايته مَشـوق
فقالتْ بل همومٌ عيشُ من لم * يعـاونْه على البَـلْوَى رفيـق
خذى لك صاحبا من بيت مجد * فليس يخونُك الأصـلُ العريق
وغُضّى الطرفَ إن لاحت عيوبٌ * من الرفقاء أو هُضِمَتْ حقوق
ومن يبغ الصـديقَ بغير عيبٍ * سيبقَى الدهرَ ليس له صـديقُ

العظة الحـادية والثلاثون

(الثعلبُ المختفى)

قد كان فى ثعبٍ حِذقٌ وكان له * علمٌ بأحـوالِ دنياهُ وتجريبُ
فاختارهُ الملكُ العالى لخدمته * وهكذا القطنُ النحريرُ مطلوب
لكنه عاش فى فَقْـرٍ لعفّتـه * والصادقُ الحرُّ مكروهٌ ومغلوب
حتى إذا ماوشى واشٍ لسيّده * به مَضَى وهومعزول ومكروب
وراحَ يشكو إلى جَدٍّ له هَرِمٍ * مما دَهَاهُ ودمعُ العين مسكوب
وقال بالغتَ فى نصح نصحتَ به * وكلّ شئ له لُطفٌ وأسلوب
إن اللبيبَ مع الدنيا يدور كما * تهوَى فيُصبحُ فيها وهو محبوب
كم من نصوحٍ تحامَى الناسُ عشرَتَه * وذِى خِداعٍ له بالغِش تقريب

العظة الثـانية والثـــلاثون

(الافيالُ والآسادُ والكتبُ)

مابين أفيـالٍ وآسادٍ جَرَتْ * حربٌ وكان شبوبُهـا كالنـار
ظَفِرتْ بها الأفيال حتى أنهـا * بِنُيُـوبِهَـا طالت على الأشجَـار
وبما لعَرش المُلك فيـلٌ قادر * قد كان صاحبَ حِكمـةٍ ووقار
واستبعد الآسادَ عن أوطانها * كى لا تعـودَه لأخذ الثـار
لما رأى الدنيا تنكَّرَ حالُهَـا * كتبَ (١) مُصرِّى بينهـا متضـار (٢)
ودَى الرفاقَ وقال إنى راحل * وفـارِقْ رَهطى وعِزَّ جوارى
وأموت فى أرض غريبًا أهلُها * لا يعرفون جهلهم مقدارى
فالله حَسْبُ الظالمين وحسبُهم * يومَ الحسـاب شِيَّ عذابُ النـار
وعقيبَ ذلك جاءَهُ جارٌ له * مستفهِمًا عن هذه الأخبار
لِمَ أنت عن هذى المواطنِ تنثنى * وتضنّ بين سَماسِبٍ وقِفار
والنفى مقصورٌ على أُسد الشرى * هل أنتَ فى حكم الهَصُور الضارى
فأجابه أوَ ما علمتَ بأننى * أسـد يَـبُزُّ لأُسْدَ يوم فِخـار

---

(١) ضراه به تضرية أهجه به واغراه وعوده به فهو مصرّى أى مغرى

(٢) متضار متظاهر بأنه ضار

فطوى أخوه الكشحَ عنه وقال هل ... يقفُ الضعيفُ بموقف الجبّار
هلاَّ حكيتَ الليثَ فى وثباته ... إن كنت تحكيه بلبس شعار
والدُّرّ لا يخفَى على ظلاَّبه ... شتّان بين الدُّرِ والأحجارِ
ثوبُ الرياءِ يَشِفُّ عمّا تحتَه ... فإذا كتسيتَ به فإنّك عارى

العظة الثالثة والثلاثون

(تهذيبُ الأَسَد)

قد رزقَ اللهُ مليكَ الأُسْد ... شبلاً به رجّى تمامَ السعد
جُمع الجموعَ كى ينتخبَ ... من بينها لشبله مؤدّبا
وقال أبغى يا ذوى الألباب ... أن ينشأ الشبلُ على الآداب
فيَنتقُدَ الأُمورَ والأحوالا ... ويعرفَ الحروبَ والنزالا
فقام بين النَّمرُ الجوابا ... وقال عنّى فاسمعوا الصوابا
جئته بأُستاذٍ كسَيْفٍ عَضْبِ (٢) ... مِنوارِ شوطٍ وشُجاع حربِ
فصدّقَ الدبُّ كلامَ النّمر ... وقال إنه مصيبُ الفِكر
وليكن الأستاذُ ذا ثبات ... يدرى شؤون الأُسْدِ فى الغابات
غليظ جسمٍ وبطىء حركه ... كيما يظنّ الخلقُ فيه بركه

(١) ولد الاسد (٢) قطع

فقام ثعلبٌ وقال المكرُ ... عليه فى الملك يدورُ الأمر
وقال كاب إنما البسالة(١) ... للملك الجبار أدنى حاله
العـــدل للسلطان منها أليق ... وهو به من كل خلق أخلق
والغلظـــةُ التى رآها الذئبُ ... كافلةً للبركات كذبُ
والمكر أيضا عورةٌ وشُنعه ... بين الورى ولو رأينا نفعه
فَلْيَدْرِس الحكمةَ يا مولايا ... فإنها كاشفةُ البلايا
فإن تُرِدْ لشبلك الفلاحا ... وأن يرى فى مُلكه النجاحا
فاغْمِسْهُ فى حبّ الرعايا والوطن ... فهذه المنّةُ من خير المنن
فلبثَ الجميعُ سامعينا ... وسلّموا للحُكْم خاضعينا
وامتدح المليكُ رأىَ الكاب ... وقال أنت لابنى المربّى
فصار بالشبل من الغداة ... يضربُ فى الربوة(٢) والفلاة
وقال قد رمتُ لك السياحه ... فى الكون حتى تعرفَ اصطلاحه
وكلما طاف به مكانا ... أراه حال قومه عيانا
فعرفَ الخائفَ والمُخيفا ... وعادِمَ العفةِ والعفيف
وكيف يأكلُ الدجاجَ الثعلبُ ... وكيف صار فى يديه الأرنبُ

(١) المهارة والشجاعة (٢) ما ارتفع من الارض

وكيف أخذُ الذئب للأغنام * يُورِدها مـــوارِدَ الحِمام
والتِّمْرُ كيف يَصْرَعُ الْكَرْكَدَنَا * ولم يَكُنْ بِقَـــرْنِهِ مُؤَيَّدَنَا
والقِرد بالتمليق بين الناس * يعيشُ فى عزّ وفى إيناس
والثور يُمضى عمرَه فى تعَب * وغيرهُ فى لذَّةٍ وطـــرَب
وكيف حقُّ الضعفاء يُسْلَبُ * والاقوياءُ بالحقـوق تَلْعَبُ
ويُحْرَمُ الراجى ويُعطَى القانط * ويُبْعَدُ الأدنى ويُدْنَى الشاحط (١)
فعند ذاك الشبلُ قال يا أبى * لقد فَهِمتُ شرحَ هذا المطلب
فهـــل ترى مليكَنا ذا علم * وخِبرةٍ بكلّ هذا الظـلم
قال له الكلبُ وكيف يدرِى * والغِشُّ فاش فى ولاة الأمر
أما ترى المليكَ فى حجـاب * بقصـــره مغلّق الأبواب
يُحْجَبُ عنه البائسُ الفقيرُ * ومنه يدنو الموسرُ الكبير
وبعدهذا كله الشبلُ عَرِفْ * كُنهَ الأمورِ وعلَى السرّ وقف
حتى غدا فى المُلْكِ واسعَ النظر * مكمَّلاً حميـــدَ خُبْرٍ وخَبَر
وجاء فى وقت من الأوقات * نِمْرٌ شديدُ البأس فى الغارات
ليقتـلَ الكلبَ ولا يبـالِى * بأنه مـــؤدِّب الرئبـال (٢)
فأقبـل الشـبلُ عليه عاديا * وافترسَ النمـــرَ فخرَّ داميـا

(١) البعيـــد (٢) الاســـد

وقال إنى لســـعيدُ النفسِ * بقتـلى اليومَ لهـذا النِّكْسِ (١)
فانتحب الكلب فقال الشبل * عَلَامَ تبكى والعقـابُ حِلُّ
قال بكيتُ من سرورى أن أرى * مِنَ الذى ربَّيتُه ماقد جرى
ياشبلُ قد صرتَ إلى الكمال * من العلوم ومن الخِلال (٢)
فعُـدْ إلى والدك المليك * لتســتَتِمَّ خُلُقَ لمـلوك
وإنّما آباؤك الأســودُ * والشئُ نحوَ أصـلِهِ يعـود
وكلّ شئٍ لا حقٌّ بجوهره * أصـغَرُهُ متّصلٌ بأكبره

العظة الرابعـــة والثلاثون

(السمكة الطيارة)

من السمكِ الطيارِ واحدةٌ شَكَتْ * إلى الأُمِّ ما تخشاهُ وهى تعـومُ
إذا ما سمتْ فى الجوِّ فالنَّسرُ حائمٌ * وإن هى غاصت فالوحوشُ تحومُ
فكيف تُوَقِّى نفسَها شرَّ ميتـة * وفى وجهِها فى الحالتين خصومُ
فقالت لها الأمُّ الرحيمة يا ابنتى * إذا شئتِ ألّا تعـتريكِ همومُ
فلا تعْتـلى فى الجوِّ فالجوُّ غائلٌ * ولا تَسْفُلِى فى البحر فهو هَضُومُ
عليـكِ بأوساطِ الأمورِ فإنّهـا * طريقٌ إلى نهجِ الصواب قويمُ

---

(١) النكس الرجل الضعيف الدنىء الذى لاخير فيه (٢) خصال

العظة الخامسة والثلاثون

(الفأر والجرذان[1])

فكان فأرٌ عند شخصٍ مُكرَمًا ... يُطعِمُه من الطعامِ الأدسمِ
كذلك الجرذانُ كانت تأمَنُ ... من شرِّه بل وإليه تركَنُ
حتى إذا ما غرَّها الغرورُ ... ولعِبتْ في نفسها الشرورُ
وأبصرتْه ساعةً حزينا ... مستجمعَ الأطرافِ مستكينا
لم يَمدُدِ الظُّفرَ ولا راماه الظَّفرُ ... ولا بجفن العين نحوها نظرْ
فظنَّتِ الجرذانُ أنَّه ارتعَدْ ... منها وأنَّه من الخوفِ قعدْ
وعزمَتْ في نفسها أن تُهلِكه ... وهبَّ منها وحدُه فأمسكه
وقال للجرذانِ هيَّا فاهجموا ... عليه حالا فالهجومُ مَغْنَمُ
قد شبِعنا من حبوبِ البُرِّ ... ونشتهي مَذاقَ لحمِ الهِرِّ
فاليومَ فيه ساعدتنا الفرصه ... إن فاتتِ الفرصة باتت غصّه
فحَملت طُرًّا عليه حَمْلَه ... عادت عليها خيبةً وذِلّه
لأنه استشاطَ منها غضبا ... فقام للفتكِ بها ووثبا
حتى أبادَ عُصبةَ الجرذان ... فهلكَتْ بالجهل والطُّغيان
من أَمِنَ الدهرَ أتى من مأمنِه ... لا تستشر ذا لُبَدٍ من مكمنه

---

(١) الجرذ ضرب من الفأر أعظم من اليربوع

العظة السادســـة والثـــلاثون

(راعى البقرِ وحارسُ الصيد)

راعى أبقـارٍ فى حَقْـل ... لاقَى صـــيادا فى القفـرِ
فرآه يقـــول أنا تَعِبٌ ... بالعـــدْو على تيْس برِّى
ولَكَمْ أرميـه بسهامى ... فينجّيـه طولُ العمـــرِ
قال الراعى شاهدتُ التيـــ*ـــسَ قريبا من بَقَرِى يجرى
فاحرسْ بقـرى وأنا أرميـــ*ـــه بسهم ينفـــذُ فى النحرِ
أعطاه القوسَ وكلبَ الصيـــ*ـــدِ وقال اصطدْ واغنم شكرى
فالكلبُ عدا فرحا بالصيـــ*ـــد وذاك الراعى فى الإثرْ
ورمَى الراعى فاصطاد الكلـــ*ـــبَ وفرّ التيسُ من الذُّعْرِ
وعقيبَ الرمْىِ رأى ماكا ... نَ فأكبرَ عاقبةَ الأمرِ
وارتدَّ لصاحبـــه فإذا ... هو أنومُ من عقل الغِرّ
ورأى الأبقارَ قد اختُطِفَتْ ... من غيرِ خفيرٍ فى الفجـرِ
فمضَى لأبيـــه فقـابَلَهُ ... بالضرب وبالغَ فى الزجرِ
ما شأنُك يا هـذا المغـرو ... رُ وشأنُ الصـيّادِ المُغْرِى
اولازمَ كُلُّ صـنعتَهُ ... لنجا مالِى ونما وَفْرِى
لا تدخُلْ فيما لا يَعْـنِى ... لا تُســرِعْ فيما لا تَدْرِى

العظة السابعة والثلاثون

(الشجرة القديمة والبستانى)

فى روضة الأزهار كانت شجره ... شاخت فلا تثمر أدنى ثمره
فرم أن يحطمها البستانى ... لكى تكون طعمة النيران
فجاءها صبيحة بفاس ... أعدها لها بقلب قاسى
قالت له أنا أنا الكمثرى ... أنا التى بها حماك أثرى
أنا التى فى زمن الشباب ... كانت عروسا غضة الإهاب
إن لم تكن لحرمى محترما ... ورمت هذا الموت لى مخترما
فصبر فإنى عن قريب أعدم ... والضرب فى الميت قالوا يحرم
قال وكيف أجد اصطبارا ... وقد منعت عنى الثمارا
قد خلق الإنسان وفق الحال ... لا يذكر الذى مضى بحال
وما أردت حطمك اختيارا ... وإنما أردته اضطرارا
وكانت البلابل الشجيه ... من فوقها تستمع القضيه
قالت له عن قطعها كف اليد ... واستبدلن تغريدنا مردد
فلم تفد أقوالها لديه ... وقام والمعول فى يديه
فخرج النحل إليه حالا ... من جذعها مدافعا وقالا

أَصْغِ إلى الارشاد يا إنسانُ ... يا غادرا كأنه الزَّمان
لاتقطعنّ هـــذه العجوزا ... فقصُّعُها بالظلم لن يجوزا
دعْها لنا دارا وهاك العسَلا ... وحبـذا الشُّهدُ اللذيذُ بدَلا
إن بعتَه أصبحتَ ذا يسار ... وإن أكلتَـهُ فرزقٌ جار
فقال للنَّحْلِ ونِعْمَ الشُّورَى (١) ... اذ كمَلْتِ لي بأن أشـور (٢)
ومن يبيعُ عاجلًا بآجل ... والمرءُ مفتونٌ بحبِّ العاجل
وعاجزٌ من يترُكُ الموجودا ... في وقتـه ويَنْشُـدُ المفقودا
فقالت الشُّهدُ ضمانٌ أكبر ... وهـو لديكَ كل يوم يُحضَر
فقـال إني قانع بالبـدل ... وراجع من أجله عن عملي
لاينتهي للمرءِ في الدنيا طاب ... وليس يمشي المرءُ في غير أرب

العظة الثـامنة والثلاثون

(القنفذ والأرانب)

قد فارقَ الأوطانَ يوما قُنفُذٌ ... يبغي المعيشةَ حيث ضاق المربع
فأَتَى الأَرانبَ طالبـا لجـوارها ... متوخيـا خضـــراءَ فيهـا يرتَع
فمَنَتْ وما منعتْ وقالت مرحبا ... عش كيف شئتَ فلست منا تَفزَعْ

(١) الاستشارة (٢) أى اجتنى العسل

واعلم بأنّ العيشَ بين ربوعنا ... عيشٌ يُعَـزُّ به الذليـلُ ويرفَعُ
لم تلقَ فينا واحدا مستأثرا ... منا بشيء للجماعـة ينفَـع
هذا الفضاءُ بأرضِـه وسمائه ... مِلْكٌ لنـا بجمـالِه نتمتّـع
نرعَى بأمن فى الرُّبا ونذيرُنا ... مترقّبٌ لحـدوثِ ما يُتـوقّع
وبذاك نقضى عمرَنا فى راحة ... ماللبـلايا فى ذُرَانا مطلع
فاذا رَضيتَ بعيشنا وبمِلكِنا ... فادخل حِمانا إنّ ذلك أوسع
فأجابهم إنى رضيتُ بعيشكم ... وبذلك الحكم المقدَّس أقنع
فأتتْ تهنّئُه الأَرانبُ كلُّها ... ممدودةً للشكر منها الأذرع
لكنّه لما توطّنَ بينها ... وحوَى الجميعَ على بساطٍ مُجْمَعُ
وخَزَتْ(١) رقيقَ جسومهم من جلده ... إبَرٌ ضِخَامٌ كالأسنّة شُرَّع
وجلودها مثلُ الحريرِ نواعم ... بأرقّ من وَبَرِ النسيج تَصدَّع
فأتَوْا وقالوا قد أسأتَ جِوارنا ... فارحلْ فما لك فى حِمانا موضع
قد ساءَنا شوكٌ بظهرِك جارحٌ ... أنّى نلامسه ففيه موجِع
فأجابهم إنى خلقتُ بصورة ... يؤذَى بها جارِى فماذا أصنع
كل امرئ متصرّفٌ بطباعه ... ليس امرؤٌ إلّا عَلَى ما يُطْبَع

(١) شاكت

العظة التاسعة والثلاثون

(القُـــبَّرة[1] والقُمرية[2])

قـد جاورتْ قُـــبَّرةٌ * إحدى شوادِي القُمرى
وطالما قالتْ لهـــا * أحرجتِ شَدْواً صدرى
الصـوتُ ليس مجدِيا * إلَّا ضـــياعَ العمـــر
أمَّـا أنا فطأعـــتِي * بكلّ حُسن تُزرِى
إنّى خُلِقْتُ للهـوى الـــ * ـعُذْرِىّ وهـو عُذْرِى
ثم نأتْ كلتاهُمـا * على اختلافِ فكر
وصـار كلٌّ منهما * على هـــواهُ يجـرى
وبعـد أعوام مضتْ * تـــراءتا فى قَفْـــر
والحسنُ عن ربَّته * ولّى كعُمْرِ الزَّهـــر
قالتْ لهـــا جارتُهـا * قولَ النصيح الحُـــرِ
أينَ جمـالُكِ الذى * كان جمالَ الفخرِ
مضى البهـاءُ وانطوَى * ومالَهُ من نشـــر
وللجَـــمال دولـــةٌ * قصـــيرةٌ فى الدهـــر
قالت لهـا لا تذكُرِى * ماقد مضَى من أمرى

(١) القُـــبَّر كسُكَّر ضرب من العصافير الواحدة قبَّرة (٢) والقمرى من الفواخت والانثى قماء

أوَاهُ من عهد الصبا ... لم يبق غير الذكر
يا ليتَ لى صناعةً ... مثلَك تُعْلى قدرى
فأسترِحْ بالصنعة قد ... يأمنُ شرَّ الفقر

العظة الاربعون

(السمكة)

نصائحُ الآباءِ للأبناءِ ... مثلُ دواءٍ مُبْرِئٍ للداءِ
قد أخذتْ سمكةٌ كبيرة ... تنصحُ أولادا لها صغيرة
قالتْ بنا تى كُنَّ وسطَ النهر ... واسبحن لا تجْنُحْن نحو البرّ
واحذرْنَ من حبائلِ الصيّاد ... فإنها لكُنَّ بالمرْصاد
وكان هذا القولُ فى الشتاء ... والماءُ يهمى من فم السماء
وعمَّ هذا الماءُ كلَّ الأرض ... منتشرا فى طولها والعرض
وعندذاك فارقَ النهرَ السمكْ ... وعام فيما حولَهُ من البرّكْ
وقال يا من نَصَحتْ وحذَّرتْ ... من الردى وهوّلت وأنذرت
قُومى انظرى دنيا بدَت جديده ... فيها لنا ممالكٌ عديده
قالت لهن هذه العجوزُ ... مخالفاتُ الأُمِّ لا تجوزُ
قالت لها بناتُها دعينا ... لسنا لنُصح منكِ سامعينا
ولم تعُدْ لنهرها المصون ... مغترةً بخدعةِ العُيُون

حتى إذا ماقَلَّتِ الميـاه * ورجعَ النهـرُ إلى مجـــراه
لم تَستطعْ أن ترجعَ الأسماكُ * وعمَّ فيها الويلُ والهـــلاكُ
وهالكٌ مَنْ سارَ فى هـــواهُ * مخالِفًا فى ســـيرِه أباه
والنفسُ إنْ أتبعتَهـا هواها * فاغرةٌ تحـــو ردَ ها فاها

العظة الحادية والاربعون

(الجُـرذُ والمبْرَدُ)

ســعَى إلى رزقِه فى ليـلةٍ جُرَذٌ * يُؤَمِّلُ الخـيرَ لكن خانَهُ الأَملُ
أَصابَ بعد عناءٍ مِبردًا خشـنا * صُلْبا تسنُّ به الأَسيافُ والأَسلُ
فصار يقرِضُ قرضا ماله أثَر * فيـه ومزَّقَ فاه ذلك العمـلُ
وهكذا من يعانى غيرَ مختبِرٍ * مالا يُطيق عَراهُ الضُّرُّ والفشل
كناطح صخـرةً يوما ليوهِنَهـا * فلم يَضِرْها وأَوهَى قـرنَهُ الوعِل

العظة الثانيـــة والاربعون

(الثَّورُ والحِصانُ والحِمارُ)

تفاخَرَ الحِمارُ والحِصانُ * والثورُ حين ضَمَّها مكانُ
وصـار كلٌّ يزدهى بفخرِه * على ســـواه وعُلوّ قـدرِه
فبينما الجميعُ فى جِـــدال * وقيلهُـــم مُختلِطٌ بالقـالِ

أول قومٍ من بنى الإنسان ... على صدَى الصوتِ بلا توان
فاتفقوا أن تُنبذَ الخصومه ... ويُعرَض الأمرُ على الحكومه
وطلبوا التحكيمَ فى القضيه ... من هؤلاء القومِ عن رَوِيّه
فاهتمّ منهم واحدٌ وقاما ... وكان بالخيولِ مُستهاما
وقال إن أشرفَ الأنواع ... كرائمُ الخيولِ بالإجماع
لأنها المساعدُ الوحيدُ ... فى كل ما ينفعُ أو يُفيد
لها مزايا فى الحروبِ لا تُعَدّ ... والخيل فيها الخيرُ معقودٌ وَرَدْ
والحرُّ قد مدحَ الحِمَارا ... مبالغًا فى مدحه جهارا
وقام واحدٌ من الجماعه ... وامتدحَ الثيرانَ للزراعه
وقال لولا الحرثُ بالثيران ... ما تمَّ زرعٌ لبنى الإنسان
فانصرفوا وما أتَوا بحُكم ... لواحدٍ يدْحَضُ قولَ الخَصْم
بل كلُّ فردٍ عن هواهُ ينطق ... والمرءُ مُغْرًى بهوى ما يَعْشَق
وذاك صِدقُ قولِهم فى الماضى ... الحكمُ ما ترضاهُ نفسُ القاضى

العظة الثالثة والاربعون

(المعجبُ بآبائه)

فتًى من بنى الأتراكِ كان له حسبْ ٭ وكان يَجُرُّ الذيلَ فخرًا على العربْ
يعدِّدُ بينَ الناس فضلَ جدُوده ٭ ويذكُرُ تاريخَ المناصبِ والرُّتَب
ويحسَبُ أن المجدَ فى بيته له ٭ تراثٌ وأنَّ المجدَ يورَثُ بالنسب
فما زال مختالا يبدِّدُ إرثه ٭ وليْسَ لَهُ فى المَجدِ والمَالِ مُكتسب
إلى أن مضى عصرُ الشبابِ وعزّه ٭ ولم يَنْتَفِعْ فيه بعلمٍ ولا أدب
وأصبح مخفوضَ الجَناح كسيرَه ٭ وكم جاهلٍ مجدَ الجدودِ به ذهب
إذا الغصنُ لم يُثمِرْ وإن كان شعبةً ٭ من المثمراتِ اعتدَّهُ الناسُ فى الحَطَبْ

العظة الرابعة والاربعون

(الغَرَقُ والطوفَانُ)

يقالُ كانت قريةٌ معمورة ٭ بأهلها وبالغِنَى مغمورة
سُكانُها من خيرِها العميم ٭ قد أصبحوا فى جَنّةِ النعيم
ثم أصابتْهم صروفُ الدهر ٭ فبدَّلتْ يَسَارَهُم بالعسر
فَنَضَبَ الماءُ وقلَّ القوتُ ٭ وأوشكَ الجميعُ أن يموتوا
وأصبحوا فى حَيْرةٍ وَطَيْش ٭ لَمَّا رأوْه من مريرِ العيش

فقالت الشيوخُ للشُّبان * الأمرُ سَهْلٌ وهو فى الإمكان
لله أسرارٌ مع التدبير * يَحارُ فيها بصرُ البصير
إذا أردنا أن يدومَ الماءُ * لنسقِ الأرضَ متى نشاءُ
نقيم خزّانا لحفظ المطر * ومنه نروى زرعَنا بقَدَر
فصوَّبوا مقالَهُ جميعا * ونهضوا لشغلهم سريعا
لكنَّ كلًّا فى المياهِ طمِعَ * فأكثروا جداولًا وتُرَعا
وأطلقوا المياهَ فى الجداولِ * وخالفوا قولَ النصيحِ العاقلِ
فصار ماءُ أرضهم طُوفانا * أغرقَ من كَثْرتِهِ المكانا
والناسُ هاجتْ كلُّها فى الحال * على شيوخهم لسوءِ الحال
يرمُون كلًّا بالأذى والعَيْب * بلا حَياءٍ من وَقار الشَّيْب
قالت لهم شيوخُهم قد جزتمُ * حدَّ الصواب فى الذى استجزتمُ
إنَّا بحَفْرِ جدولٍ أمَرْنا * وما بكلِّ هذه أشَرْنا
وأنتمُ عن طمع وجهل * فرقتم الماءَ بغير عقل
إن الجهول المستبدَّ طبعُ * يضرّ من حيث يُرِيدُ النفْعا
من أبرمَ الأمرَ بلا تدبير * صيَّرَهُ الدهرُ إلى التدمير
وقيل فى أمثالهم إن الطمع * يُذهبُ كلَّ مالَهُ المرءُ جَمع

العظة الخامسة والاربعون

(الحجر والمرآة)

رأى هِرٌّ خيالا منه يوما ... بمرآةٍ بها صَقْلٌ بديعُ
فهمَّ إليه بالأظفارِ وثبا ... ووثبُ الهرّ في خطبٍ سريعُ
فلم يقدرْ عليه فزادَ غيظا ... وذو الحاجاتِ مفتنٌ ولوعُ
وقام يدورُ من خلف يرجى ... طلوعا حيثُ يُمكنُهُ الطلوعُ
وعاد وقد رآه إذا تورَّى ... يغيبُ وفي الرجوع له رجوعُ
فلما حارَ منه وضاق ذرعا ... وأفنى جهدَه الخطبُ الفظيعُ
علا المرآةَ ملتفًّا عليها ... وذلك لأنَّهُ منها جَزوعُ
فمالتْ بالخيال فظنّ جهلا ... بأنّ الهرَّ داخلها صجيعُ
فمدَّ أظافرَ الأيدي إليه ... يُمسِكه فعاجَلَه الوُقوعُ
ولما لم تنلْهُ يداهُ وَنَّى ... وحقَّق أنّ مطلبَه منيعُ
وعادَ لشأنِه يصطادُ فأرا ... وعزّ عليه أوقاتٌ تضيعُ
إذا لم تستطعْ شيئا فدعْه ... وجاوِزْهُ إلى ما تستطيعُ

العظة السادسة والاربعون

(المزارعان)

مُزارعانِ أخوانِ كانا ✻ قد ورِثا عن والدٍ بستانا
وكان هذا مُخْلِصًا لهذا ✻ من خافَ ضُرًّا بأخيهِ لاذا
فواحدٌ قد لزِمَ الزراعه ✻ وواحدٌ لم يرضَها صناعه
كان الذى آثرَ حرثَ الحَقْل ✻ من الشقيقين رجيحَ العقل
متكلاً مع اجتهادِهِ على ✻ إلهِهِ قد جلَّ شأنًا وعَلا
فتُخرِجُ الأرضُ على قدرِ التعب ✻ نباتَها من فضةٍ ومِنْ ذهب
أمَّا الذى فى نُضْرةِ الشباب ✻ فاهتمَّ بالبحث عن الأسباب
ليعلم البذرة كيفَ أثَّرت ✻ بغير رُوح فى الثَّرى وأثمرت
وكيف وهْى الحبَّةُ الصغيره ✻ تجىء بالسنابل الكثيرة
فأخذتْهُ حيرةُ الظنون ✻ وبات مما حارَ كالمجنون
وهامَ بالبحثِ وفاتَ الزرعا ✻ فلم يُفدْهُ بعدَ ذاك نفعا
وما جنتْ يداهُ إلا تعبًا ✻ لم يَجْنِ من يَزْرَعُ شوكًا عِنَبًا

العظة السابعـــة والاربعون

(الرجل التائه فى الصحراء)

من الحكايات شخصٌ ضَلَّ فى سفَرٍ * عن الطريق وأمسَى إِلْفَهُ الشَّجَنُ
وصار ترفَعُـهُ يدٌ وتَخفِضُـــه * أخرَى ولا ساكنٌ فيها ولا سكن
وللظمَا والطَّوَى فى وجهه أَثَرٌ * وللضنَى والأَسَى فى جسمه وهَن
ويَحْفِرُ الرملَ ظَنًّا أن يكونَ به * ماءٌ وذو العذرِ بالأوهامِ مفتتن
وبينما هو فى الصحراء محتفِـــر * أصابَ كَنزًا وفيه المغنمُ الحسن
فصـــدَّ عنه وماذا كان ينفـعه * إذ عمرُهُ بشراب المـاءِ مرتهن
أريدُ من زمنى ماءً فيمنحُنِى * مالًا فمـا ذلك التبغيضُ يازمن
أينفعُ المـالُ والإنسانُ فى ظمأ * أمَامَهُ الموتُ لاقبرٌ ولا كفن
ماكلُّ مايتمنَّى المرءُ يدرِكُه * تأتى الرياحُ بما لاتشتهى السفُن

العظة الثامنة والاربعون

(الدجاجةُ والثعلبُ)

دجاجةٌ سـليمةُ الطـويّه * غليظـــةٌ فاقِـــدةُ الرويّة
قدخرجتْ يومًا أمامَ القفص * معجبـــةً تختـالُ بالترقص
وبَعُدتْ ومادرت من جهلها * أنَّ المنايا نُصِبَتْ لحتلها

فأبصرت عند الرجوع ثعلبا * وقد خلا إلى الخلاص مهربا
فسلمتُ لله كلَّ أمرٍ ... وانتظرتُ مآلَ ذاك الشرِّ
لما دنا منها أجدَّ الحيله ... قال لها ما أجملَ الخليله
إنى أراكِ من خيالى خائفه ... نادمةً على الخروج آسفه
وذلك الحقُّ لأنَّ جنسى ... بضدِّهِ أباحَ قتلَ النفس
وكم توخيتُ له الإصلاحا ... فعدتُ بالمسعى ولا نجاحا
لذاك قد نبذتهُ ظِهريا ... وقد أصادفُ عملا مَرضيا
وصار دأبى البذلُ للنصيحه ... بذمةٍ ونيةٍ صحيحه
ولا أكونُ فى الورَى شريفا * إذ أنا لم أنصُر الضعيفا
لقد رأيتُ أحدَ الثعالب ... سَعَى على عُشكِ سَعْىَ الغاصب
فصرتُ مسرعا إليه جريا ... فإنَّ مثلى لا يَوَدُّ بَغْيا
فصدقتْ وأدخلتهُ فى القَفَصْ ... فانهزَ الفرصةَ والدنيا فُرَصْ
وأهلكَ الدجاجَ والأفراخ ... لم يستطعْ وثبًا ولا استصراخا
المكرُ والخِبُّ (١) أداةُ الغدر * والكذبُ محضُ سلاحِ الفاجر

(١) خداع

العظة التاسعة والأربعون

(البازى (١) والحمام)

لقد صادَ بازٍ ذات يوم حمامةً * رآها على بعضِ المياهِ تحومُ
فعاجلَها بالنقر لا ذنبَ عندها * ولكن جفاءٌ فى الصدورِ قديم
وقال وقعتِ الآن بين مخالبى — فلا كان لى قلبٌ عليك رحيم
لقد أضمرتْ أبناءُ جنسك سابقًا — لنا الحِقْدَ حتى لا فؤادَ سليم
سأشفى غليلى منك غيرَ مُهادِنٍ (٢) * وما أنا فى قتلِ الأثيم أثيم
فقالت أيبغى جارحُ البازِ بالأذى — حمامًا ضعيفًا والضعيفُ هضيم
إذا انطلقَتْ منا إليكم حمامةٌ — فكلُّكم يبغى الأذى ويريد
فقال لقد أقررتِ بالذنب جَهْرَةً — وجهرُك بالذنب الجسيم جسيم
فأهلكها من بعد ما بان أنها * بَرِئٌ وأن الذنب منه عظيم
وجدتُ الفتى يرمى سواه بدائِهِ — ويشكو إليك الظلمَ وهو ظلوم

---

(١) واحد البزاة التى تصيد يعنى ضرب من صقور ويقال فيه بازعلى وزن تاج وجمعه بواز وبزان (٢) مصالح

العظة الخمسون

(القـاتل أباه)

قتـــل يـــومًا ولدٌ أباه ... لغَـــيْرِ ذنبٍ بعـــدَمَا رَبَّاهُ
فصار بعدُ قارِعا سِنَّ الندم ... لخوفه الحـاكمَ لا اللهَ الحَكَمْ
وَفَرَّ للغَـابِ وقال مُعْـرِضا ... فى الغابِ لا تُبْصِرُنى عينُ القضا
وبينما يجوسُ وَسْطَ الغاب ... إذا بعُشٍّ لاحَ باقْـتراب
فصار يَرمى العُشَّ بالأحجارِ ... حتى أماتَ الطيرَ فى الأوكارِ
وَبَعْـدَها عَارَضَهُ إنْسَانُ ... وقال أيْنَ الرِّفقُ والحنانُ
ما ذا جَنَتْهُ هـــذه الطيورُ ... حتى على أفراخِهَا تجُـورُ
فَقَال فى أصْـواتها رَخَامَهْ ... أخافُ مِنْهَـا أنها نَمَّامَهْ
وقد فَتَكْتُ بأبى إذْ كانا ... جَعَانِى دونَ أخى مكانا
وَظُلْمُ ذِى القُربى على الإنسان ... أشَـدُّ فى الوَقْعِ من اليَمَانى
أجَابَهُ تَقتلُ نفسًا طاهـــرة ... فكيف تَنْجُو من عذاب الآخره
وَجَرَّدَ قَسْرًا لِدَارِ الحَـاكِمْ ... كَيْمَا يُجَازَى بالعِقَاب الصَّارِمْ
وقال مُهْجَتِى فِـــدَاءُ مُهْجَة ... ثم التقِ اللهَ بهذى الحُجَّـــة
يَحْنِى على فؤادِهِ مَنْ يَجْـنِى ... كَادَ المُرِيبُ أن يقول خُذْنِى

العظة الحادية والخمسون

(طالبُ الرزقِ بالحِرص)

ماذا يفيـدُ ذا الغِنَى غِناهُ * إن لم يزِنْهُ الفضلُ فى دنياه
فلا يجارِى النفسَ فى مَطْمَعِها * ويضعُ الأموالَ فى موضعِها
بَرًّا بنفسِه وبالأوطان * وبالفقير من بَنِى الإنسان
هذا الذى يَعيشُ فى حياة * منشرحَ الصدرِ إلى الممات
يقنعُ ، يستغنِى ، يُلاقى حظَّا * ولم يخَفْ لائمةً ووعظا
أمّا الذى يعيشُ بالتقتير * فعيشهُ بالذُّلِّ والتحقير
مهما يبالِغْ فى طِلاب الثروه * فما لَهُ مما ينالُ حُظوه
يأكلُ غيرُه لَهُ ما يطبُخ * ويطفِئُ النارَ له من ينفخ

العظة الثانية والخمسون

(الكلبُ المذنب)

عدا كَلْبُ أغنام على حَمَـلٍ بها * وعادَ ومِن فِيه الدماء تُسيل
فلما شكتْـهُ الأُمُّ أَلحقَهَا به * وهبَّ على راعى القطيعِ يصول
وَقَدْ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ فِى الوَقْتِ حاضرا * وفيهم شهودٌ صادقون عُدول
فسِيق إلى القاضى فأصدرَ حكمَه * بأن يقتلوه والجزاءُ مثيل

وفى لموقف لمرهوب قامتْ حيالَه جموعٌ تَرُدُّ الطرْفَ وهو كليل
فخاطبهم مستعطفا متبرّئا وراح كما شاء النِّفاقُ يقول:
أتى الذئبُ يغتالُ الحروفَ فلم أكد أوافيه إلّا والحروفُ قتيل
فلما بدا لى بعده يأسُ أمّه كرِهْتُ لها أنَّ العذابَ يطول
وإذ جاءنى الراعى يهُمُّ بقتلتى * فدافعتُ حتى لا يقالَ ضئيل
فقالوا جميعا إنَّ قولَك مِرية وليس عليها للخلوص دليل
وليس جزاءُ المعتدين سوى الردى وذاك على الباغى الأثيم قليل
فلو حَلَمَ الانسانُ عند اندفاعه لَمَا كان للبلوى إليه سبيل
إذا المرءُ لم يغلب هوى أقامه بمنزلةٍ فيها العزيزُ ذليل

العطة الثالثة والخمسون

(الملك المشتغل بعلم الفلك)

سبحانَ من فى كلّ قلب أودعا * ما شغل النفسَ به وأولعا
وقوّمَ الخَلْقَ وزانَ الخَلْقا * مسيّرا كُلًّا لِمَا قد خُلقا
والمرء فى الدنيا كثيرُ الأمل * لكنه موفّقٌ للعمل
والله يعطى الملكَ من يشاء * يَصْحَبُه السعدُ أو الشقاء

(١) به ضعف

أَصْـــغِ الى حكايةٍ مرويّه * عَنْ مَلِكٍ يَحْكُمُ فِى الرعيّـــه
قد عاقه الإفراط فى علم الفلك * عن التروّى فى أمورِ ما ملك
يترك شأنَه لِنجم يرصُـــدُه * وكم عدوٍّ فى الوجود يقصِدُه
قال لتـابِـع بـــه ألمَّـا * فى ليـــلةٍ يرقُب فيها نجمَـا
سوف تَرَى سكّانَ هذا القمر * بما اخترعتُ صحيح النظر
أجابه خادمُه لا يبعُـــد * عليك ما تسعَى له وتَقْصِـدُ
مادمتَ تأتى الأمرَ من أبوابه * فالشئ لا يبعـد عن طُلّابه
فقال عاقلٌ من الجلّاس * لا يصلحُ الجسمُ بغير الراس
من وُلِّىَ الملكَ العظيمَ يتعَب * وأنت لاهٍ للنجـوم ترقُب
اللهُ فى هـذا المقـامِ أنزلك * لتنظـرَ الأصلح فيما خَوَّلك
لا أن تكونَ حاكمَ الأفلاك * ولا لكى تقضىَ فى السماك
لكن تراعى عينُكَ الرعيّـــه * فى أمرهم وتصلح الـــبريّه
فالمُلْكُ يرقى بالمليك العـادل * فى عاجل الأيّام أو فى الآجِل
فانظر رعاك الله أهلَ الأرض * واسلك سبيلا غير هذا يُرضِى
وكن لمن ترعَى أبًا وأمّا * على المُهِـــم فيهِم الأهَمّـا

العظة الرابعـــة والخمســـون

(دودة القزّ ودودة الحقل)

فيمَ مرّ الحيوان فيما بينها ... دارَ الحـديثُ مُغرِبا ومُشرِقا
وجرى لدودِ القزّ ضمنَ حديثها ... ذكر أرقّ من السّلاف مروّقا
هي دودةُ هذا الحريرُ نسيجُها ... ولقد يكون نسيجها إستبرقا
وهناك نامت دودةٌ حقليّـة ... لم تحكها نفعا وساءت منطقا
أخذت تخطّئها على تفضيلها ... وتقول إنى لست ممن صدّقا
فتعجب السمّاعُ بعـد حديثها ... وأخو السعادةِ سُبّة لأُولى الشقا
فضلُ الفتى يُغرِى الحسودَ بسَبّه ... والعـود لولا طيبُـهُ ما أُحرقا

العظة الخامسة والخمسون

(لاعبُ الميْسر)

حكايةُ الوارثِ للأموال ... نادرةٌ سارتْ مع الأمثـال
قد كان يقضى الليلَ والنهارا ... كِلَيهما فى لعبـه القمارا
وكان لا يلعبُ إلاّ بالذهب ... غيْرَ مبالٍ إن تَبَقَّ أو ذَهب
ولم يزل يُسلبُ منه المـالُ ... حتى انْتَهَى وساءَ منه الحال

وبات بعدَ العزّ فى المَـذلّه * وبعـد صحـــةٍ أليفَ عِلّه
قد كان يُدعَى بعظيم الفضل * فصار يُدعَى بثقيل الظـلّ
هذا جزاءُ الطَّيش فى الشباب * والطيشُ لا يهدى إلى الصواب
ومن أباحَ النفسَ ما تهـواه * فإنَّمـا معبـودُه هـــواه
تلقَى الفتَى الأهواءُ فى العناءِ * وربّمـا أفضتْ إلى البلاء
أن الشبابَ والفراغَ والجِدَه * مفسـدةٌ للمرء أىّ مفسـده

العظة السادسة والخمسون

(الحـــر البرىّ)

آلَفَ وحدى الرياضِ هِرٌّ * للطيرِ ما عنده أمان
فى كل صبْحٍ وكُلّ لَيْـل * تغولُها حَرْبُها العَوان
حتى إذ ما الشبابُ ولّى * وخانَهُ فى القُوى الزمان
وصار يَخشَى وليس يُخشَى * والليثُ فى ضعْفِه جَبان
فازَ به حارسٌ رقيب * وكل باغٍ له أوان
رماهُ سهما وقال خذْه * كما يَدينُ الفتى يُدان

العظة السابعة والخمسون

(الهزار والطاوس)

لما الربيعُ بدا والصفوُ قد حانا ٭ غنّى الهزارُ على الأفنانِ ألحانا
فهبَّ من عُشّهِ الطاوسُ منتخرا ٭ بُجُبَّةٍ جَمَعتْ للحسنِ ألوانا
وقال يا صائحًا غرَّتْه نغمتُه ٭ لخالقٍ أبدعَ الأنغامِ إتقانا
إن كان طيبُ غناءٍ منك أطربنا ٭ فقبحُ ريشِك لما بانَ آذانا
وليس شيءٌ كحسنِ الشكلِ صاحبُه ٭ تراهُ كلَّ ملونٍ الأرضِ سلطانا
لبستُ ثوبيَ من روضِ الجمالِ وما ٭ أطربتُ في روضتي صبًا ونشوانا
وأنت مستهجنٌ خلقًا وتُنشدُ ما ٭ به تضيعُ نفاسًا وأزمانا
فقال لا تفتخرْ أنَّ الغناءَ له ٭ فضلٌ وسامعُه تلقاه جذلانا
لكلِّ حسنٍ مزايا قد خُصصتَ به ٭ لم يَمْنَحِ اللهُ كلَّ الحسنِ إنسانا

العظة الثامنة والخمسون

(الجـــرادة)

قالت جرادةُ كرهتُ العيشه ٭ فليستِ الدنيا تساوي ريشه
فكم أرى فيها ارتكابَ إثمِ ٭ من كلِّ ذي نقصٍ وكلِّ قَدْمِ (١)

(١) العيّ والثقيـــل

هأنذا ذاهبـــةٌ الى الخَـلا * كَيْ لَا أُلاقِي أحدا من المـلا
أقضِي هُناكَ العمرَ فى اعتدال * وأهجـــرُ الأنامَ باعترا لى
فسـمعتْ مقالَهـا جراده * قالت لها ويْحَكِ من نقّا ده
لاتخرُجى لاخيرَ فى الخروج * فالعيشُ يصفُو فى رُبا المروج
مَن الذى أقصاكِ عن تنَعُّم * حتى غدوْتِ الآنَ فى تندُّم
أنْ هُو إلا سوءُ ظَنٍّ غالبِ * عليكِ وهو من طباع الغالب
فيممت مَرْجًا(١) به أزهـار * ولا تُرَى فى جوّه أطيـار
فابتهجتْ ونَوت الإقامه * زاعمةً أنّ بِهَا السـلامه
وفى الصباحِ أقبلَ الحصّاد * ودخلتْ مروجَها العبـاد
قالتْ لقـــد وافتنِى الرجال * فكيف لى اذًا تطيبُ الحال
فسـمع المقـالَ منها راع * فقال خَوْفٌ مَالَهُ مِنْ دَاع
ثم رَمَى بِها على رأس الشجر * وقال هاكِ فكُلى خيرَ الثمـر
فلا تطُنّى الشرَّ فى كلّ الأمم * فأنّ بعض الظـنّ إثْمٌ وندَم
ما أولع النفسَ بسـوءِ الظنّ * ما أسرعَ النفسَ إلى التمـنّى

(١) مرعى الدواب

العظة التاسعة والخمسون

(السرطان)

مشى السرطانُ يوما باعوجاج ... فقلّد شكلَ مِشْيَتِهِ بَنُوهُ
فقال علامَ تنحرفون قالوا ... سبقْتَ به ونحن مقلّدوه
فخالِفْ سَيْرَكَ المعوجَّ واعْدِل ... فإنّا إنْ عَدَلْتَ مُعَدّلوه
أما تدرى أبانا كلَّ فرعٍ ... يُجارِى فى خُطَا من أدّبوه
ويَنشأُ ناشئُ الفتيانِ منّا ... على ما كان عَوّدَهُ أبوه

العظة الستون

(البُلبُلُ والأميرُ)

أخبروا أن أميرًا قد ورد ... روضةً فيها نعيمٌ لا يُحَدّ
وهو يستصحبُ أستاذًا له ... لينالَ الوعظَ منه والرَّشَد
فرأى من فوقِ غصنٍ بُلبلا ... بجمالِ الشَّكلِ والصوتِ انفرَد
فتمنّاهُ وَوَلّى خَلْفَه ... مُسرِعا فى سيره أنّى قصد
كلّما خادَعَه لم ينخدِع ... كلما قاربَ مَثواه ابتعد
ثم غابَ الطيرُ فى غابتِه ... واغتدَى الصيادُ منه فى كَمَد
قائلا واعجبا من مُطرِب ... يسكُنُ الغابَ ولا يهوَى البلد

ليس عندى مثلَه طير وكم ... لِي طيـورٌ غيرُ هذا لا تُعـد
عنـدَها قالَ له أســتاذُه ... ذاكَ أنّ الفضلَ فى الناس كَسد
وترى الناسَ كثيرا فإذا ... عُدّ أهلُ الفضلِ قَلّوا فى العدد

العظة الحادية والستون

(البهلوان وعَصَاه)

كان قديما بهلوانٌ يلعَبُ ... من فوقِ حبلٍ وبهذا يُعجب
يحضُرُ أهلُ القُرى جُموعا ... كى ينظروا من صُنْعِه البديعا
ففـرّدَ مجيئُهـم إليْـه ... ونشرُهم حسنَ الثّنا عليـه
فنالَ يوما ما احْتياجى للعصا ... وقد ألِفتُ الحبلَ والترقُّصا
ثم رمَى العصا وفى اللعْبِ شَرع ... فمالَ فوقَ الحبلِ حينا ووقع
مَن حدّثتْه نفسُـه بالقدره ... وغرّهُ الوهمُ أضاعَ عُمـره
وكلّ من همّ وحيدا فى عمل ... بلا نصير لم يجِد غيرَ الفشل
لابُدّ للانسـانِ من مُعين ... يُعينُـه وصاحبٍ أمين
وإنّما السلطـانُ بالأعوان ... واليـدُ بالساعِد والبنان

العظة الثانية والستون

(الكركدن وجمل)

سَلَ الكركدنُ السامي القوى ... جملا قد تاه زهوا وافتخر

أى فرق بيننا حتى أرى ... عيشك الصافى وعيشى فى كدر

إن تكن فى خلقة تفضلنى ... كان لى فضل بأشياء أخر

أنا فى قرنا ودرعا أتقى ... بهما الشر إذا الشر حضر

قال كلا (١) أنت لا بس فاذكر (٢) ... خصلة لسيانها لا يغتفر

هى أنى أطيع منى سلس ... لست أعصى من نهانى أو أمر

كم فتى فوقى من كرب نجا ... وفتى أدرك بى أقصى الوطر

كم يد مدخورة لى عندهم ... لم أشاهد لك فيها من أثر

فلئن كان اشتراك بيننا ... فهو لاشك اشتراك فى النظر

إن فى الباطن فرقا واضحا ... ليس بالخافى وهل يخفى القمر

فإذا شئت حياة رغدة ... فزن الخلق بما يرضى البشر

واجعل المعروف ذخرا إنه ... للفتى أحسن شئ يدخر

---

(١) حيوان يعده فى جملة الفيل ذو حد فرعى رأسه قرن واحد

(٢) تذكر

العظة الثـالثة والستون

(الفيل الابيض)

فيلٌ من البيضِ له حكايه * غريبـــةٌ فى بابها للغـايه
رأى أناسا مَحَّضُوه الحُبّـا * وعبَـــدُوهُ كالإلٰهِ رَبّا
يُفـدونه بالنفس والنفيس * كصـنع آلِ مصر فى أَبيس (١)
فاضطربَ الفيلُ من العباده * وقال للخـادمِ بئسَ العـاده
ما سببُ اعتقادِكُم فى الفيله * وفيكم العقلُ وأنتم كُمَّله
أليسَ فيكم من ذوى الالباب * هـداكم اللهُ إلى الصـواب
قد فضّـلَ اللهُ بنى الانسان * بالعقل والصـورةِ واللسان
قال وجدنا هكذا آباءنا * فلا نَلُمْ من بعدِنا أبناءَنا
ودِيننا دينٌ قويم من قِدم * دينُ صـلاحٍ وعلومٍ وحِكم
وفيـهِ نَتْ روحَ ربِّ الفضل * تَسْكُن جسمَ الفيلِ بعد النقل
وقد تبعتُ الأَهل فى اعتقادى * ولست أدرى صحة الإسناد
قال اعتقادٌ باطلٌ من زمن * لا يَقبَـلُ المحالَ عقلُ الفَطِن
قد صدقَ القائلُ فى الكلام * ليس النُّهَى بعظمِ العِظَـام

(١) عجل عبده قدماء مصر

إلى مَتَى تُقيمُ فى الضـلال ... وتعبُـدُ الأفيالَ كالجهَّـال
فابحثْ هدى الله للسَّـداد ... فالبحثُ يجلو الحقَّ للعبـاد
والعقل يهدى أهلَه للرُّشْد ... فلا تكن مقـلِّدًا كالقِـرْد

العظة الرابعة والستون

(الزُّنبور والنحلة)

قد أبصر الزُّنبورُ يوما نحـلةً ... فى روضة فأتى اليها يُسرِع
ودعا أيا أختى فقالتْ أنَّنى ... تالله من هذا الإخاءِ لأَفْزَعُ
فأجابها لا فرقَ فيما بيننـا ... أنَّا لأصلٍ فى الحقيقة نرجع
أوما كفاكِ على الأخوةِ شاهدًا ... شَـبَهٌ تؤيِّدُه لديك الأذرع
فى شكلنا وطباعنا وصِباغِنا ... ودوِيِّنـا قامتْ شواهدُ أربع
حتى اشتركنا فى العيون فعندما ... أمشى وتَمْشى تظاهرين وأظلع
وقد اشتبهنا فى الأذى فرماحُنا ... مشروعةٌ قد تَلْسعين وألسع
هذا دليلُ أنكِ الاختُ التى ... كانتْ معى من ثَدْى أمّى ترضع
قالت له أنا إن لسعتُ منحتُهم ... شهد الشفاءِ فلا أضُرُّ وأنفع
لكن حرابُكَ للأذى أعددتَها ... فإذا دنوتَ لجسمِ شخصٍ تلذع
هـذ دليلُ البعـد فيما بيننا ... نسبا فدعوالكَ الأخوةَ تُمنَع
وإذ جهلتَ من امرئٍ أعراقَه ... وقديمَه فانظُرْ إلى ما يصنع

العظة الخامسة والستون

(الباحث والمقلد)

شَخْصَانِ كَانَا يَعْبُدَانِ الشَّمْسَا ❊ كِلَاهُمَا عَلَى الْخِلَافِ أَمْسَى
فَوَاحِدٌ يَعْبُدُهَا بِجِدِّ ❊ مُقَلِّدَ الْوَالِدِ بَعْدَ الْجَدِّ
وَوَاحِدٌ قَدْ قَالَ دِينُ الْعَارِفِ ❊ لَيْسَ كَدِينِ النَّقْلِ بِالزَّخَارِفِ
وَفِكْرَتِي فِي كُلِّ عِلْمٍ سَامِيَهْ ❊ مِنْ أَجْلِ دَرْسِي لِلْعُلُومِ الْعَالِيَهْ
وَكُلُّ مَنْ يَبْحَثُ عَنْ حَقِيقَهْ ❊ أَوْصَلَهُ الْبَحْثُ إِلَى الطَّرِيقَهْ
الشَّمْسُ لَا أَدْرِي لَهَا تَكْوِينَا ❊ فَكَيْفَ أَرْضَى بِالْخَيَالِ دِينَا
فَجَدَّ فِي مَبْحَثِهِ حَتَّى اهْتَدَى ❊ بَعْدَ الضَّلَالِ وَلَهُ الْحَقُّ بَدَا
وَعَبَدَ الرَّحْمٰنَ حِينَ لَاحَا ❊ لَهُ ضِيَاءُ الرُّشْدِ فَاسْتَرَاحَا
وَمَا أَرْعَوَى عَنْ جَهْلِهِ أَخُوهُ ❊ وَالْغَيُّ مَوْعُودٌ بِهِ ذَوُوهُ
فَعَاشَ فِي الضَّلَالِ طُولَ الْعُمْرِ ❊ وَبَاتَ فِي جَهَالَةٍ وَوِزْرِ
مَا أَغْبَنَ الْمَغْبُونَ بَعْدَ عَقْلِهِ ❊ مَا أَضْيَعَ الْغِمْدَ بِغَيْرِ نَصْلِهِ
لَا شَيْءَ كَالْعَقْلِ مِنَ الْهِبَاتِ ❊ بِقَدْرِهِ تَفَاوُتُ الْحَيَاةِ
وَالنَّفْسُ لَوْ سَارَتْ عَلَى هَوَاهَا ❊ بِغَيْرِ عَقْلٍ حُرِمَتْ مُنَاهَا
مَنْ عَرَفَ اللهَ أَقَامَ الْحُجَّهْ ❊ لِدِينِهِ وَأَدْرَكَ الْمَحَجَّهْ

العظة السادسة والستون

(الورقاء والفرخ الذى ربته)

ورقاءُ عاشت زهى ترجو أن ترى ... فرخا بطلعته الحياةُ تَطيبُ
فيكون نسلا صالحا ويُعزُّها ... وتُعزُّه وكلاهُما محسوب
نظرتْ بعُشِّ ذاتَ يوم بيضةً ... تُرِكَتْ وليس لها هناك رقيب
قالت سأحضنُها إلى أيامِها ... لأرى بها خَلَفا وذاك قريبُ
حتى إذا ما أفرختْ جاء الذى ... نقفتْه وهو عن الحمام غريب
لا شكلُه شكلُ الحمام ولا لَه ... من نوع ساجِعةِ الأراكِ نصيب
جعلتْ تربّيه لتُحسِنَ سِيرَه ... فيَزينُه التعليمُ والتأديب
لكنما خبثتْ أمانيها زكا ... جهدتْ وجَهدُ البائساتِ يخيب
إذ حَلَّ فى وَكْرِ الحمامة زائرا ... شُحْرورُ روض بالغِناء طروب
فعدا عليه الفرخُ غير مجامل ... وأماتَه فى الحال وهو غضوب
فتكدرتْ منه الحمامةُ واثنت ... وفُؤادها مما رأتْه كئيب
أسفتْ لتربيةٍ وحسنِ رعاية ... ضاعتْ وقالتْ ما حكاهُ لبيب
إن كان طبعُ المرءِ سوءًا لم يُفِد ... فى طبعِه وعظٌ ولا تهذيبُ

العظة السابعة والستون

(الغُلَامُ والنَّخْلَةُ)

تقدّمَ الركبَ فتًى من العربْ * حتى أصابَ نخلةً ذاتَ رُطَبْ
فهبَّ كى يجنِيَ بعض البلحِ * لكنَّهُ لطولها لم يُفْلِحِ
فعاد يدعو الأخَ والأمَّ معه * ليصحَباه فى اجتلابِ المنفعهْ
فخضرا طُـرًّا بلا أمهـالِ * وانتظموا من حولها فى الحالِ
فحمل الأخُ الكبيرُ الأصغرا * ليبلغَ الحَمْلَ ويجنِى الثمـرا
فظفـروا منها بخـيرٍ جَمّ * ورجعوا لحيّهـم بالغُـنْمِ
والرزقُ يبغى كلَّ من يَبْغيهِ * وكلُّ ذى رزقٍ سيستوفيهِ
وهكذا منـافعُ العبـادِ * فى لسـعى والعزمِ والاتحادِ
فاعمَـلْ بها والتزمِ القنـاعهْ * إنَّ يدَ اللهِ مع الجمَـاعَهْ

العظة الثامنة والستون

(الأتَانُ والقِيثَارَةُ)[1]

رَاعٍ مُقِيمٌ بِأَرْضٍ طَابَ وَادِيهَا * غَنَّى بِقِيثَـارَةٍ رَقَّتْ أَغَانِيهَـا
خَفَّتْ إِلَيْهِ رُعَاةُ الحَيِّ تَسْمَعُ مَا * يَشُوقُ مِنْ لَحْنِهَا المُشْجِى وَتُطْرِيهَا

---

(١) القيثارة آلة يضرب عليها

وَبَيْنَمَا القَوْمُ فِي لَهْوٍ وَفِي طَرَبٍ ... إِذْ مَرَّتِ الأُتْنُ تَرْعَى فِي مَرَاعِيهَا
قَالَتْ أَتَانٌ عَلَامَ القَوْمُ فِي طَرَبٍ ... بِنَغْمَـــةٍ لَمْ أَجِدْ لِي لَذَّةً فِيهَا
فَلَمْ تُعَرِّجْ وَسَارَتْ وَالحَمِيرُ لَهَا ... مِنَ النَّهِيقِ غِنًى عَمَّنْ يُغَنِّيهَا
وَفِي المَسِيرِ رَأَتْ مِنْ بَيْنِ أَرْجُلِهَا ... قِيثَارَةً كَانَ بَعْضُ النَّاسِ نَاسِيهَا
فَأَمْسَكَتْهَا بِأَيْدٍ وَهِيَ ضَارِبَةٌ ... فَأَحْدَثَتْ فِي نُفُوسِ الأُتْنِ تَنْبِيهَا
وَبَعْدَحِينٍ أَجَادَتْ نَغْمَةً فَغَدَتْ ... تَكَادُ تَرْقُصُ مِنْ إِبْدَاعِهَا تِيهَا
وَقَالَتِ الآنَ أَعْطِي القَوْمَ مَعْذِرَةً ... وَذَاكَ المَثَلُ المَضْرُوبُ يُعْطِيهَا
لَا تَبْلُغُ النَّفْسُ مِمَّا لَيْسَ تَعْرِفُهُ ... حَظًّا فَمَا جَهِلَتْهُ مِنْ أَعَادِيهَا

العظة التاسعة والستون

(اللبلابة والنجم)[1]

لِبْـــلَابَةٌ قَـــالَتْ لِنَجْـــمٍ مَرَّةً يَا طُولَ صَـــبْرِكْ
أَرْثِي لِحَـــالِكَ حَيْثُ نَـــكَ فِي انْخِفَاضٍ طُولَ عُمْرِكْ
أَعْلُو وَمَالَكَ مِنْ عُـــلًا وَأَقَلُّ قَدْرِي فَوْقَ قَدْرِكْ
فَـــأَجَابَهَا يَا هَـــذِهِ لَقَـــدِ ازْدَهَيْتِ بِغَيْرِ خُبْرِكْ
بِسُـــؤَالِكِ أَدْرَكْتِ السُّمُـــوَّ وَأَنَّنِي أَدْرَى بِسِـــرِّكْ

(١) النجم من نبت ما يكن على ساق قال الله تعالى (والنجم والشجر يسجدان)

أنْتِ ٱرْتَكَنْتِ على الغُصُو ... نِ وَنَحْوِهَا فِي كُلِّ أَمْرِكْ
لَـوْلَا ٱرْتِكَانُكِ كُنْتِ أَوْ ... ضَعَ مَا يَكُونُ لِضَعْفِ أَزْرِكْ
وَالرِّيحُ قَاصِفَةُ الغُصُـو ... نِ وَقَدْ تُمُرُّ عَلَى مَقَرِّكْ
كَيْفَ الفَخَارُ وَأَنْتِ فِي الدُّ * نْيَا مُعَلَّقَةٌ بِشَعْرِكْ
فَاعْلِلْ بِنَفْسِكِ إِنْ أَرَدْ ... تِ الفَخْرَ بَيْنَ بَنَاتِ دَهْرِكْ
وَدَعِي الفَخَارَ بِزَهْرِ غَيْـ ... ـرِكِ وَٱلْفَخِرِي حَقًّا بِزَهْرِكْ

العظة السبعون

(نُكْرَانُ الجَمِيل)

أَعْتَقَ لِلَّهِ أَمِيرٌ جَارِيَهْ ... وَهْيَ عَادَةُ خَيْرِ جَارِيَهْ
وَقَدْ رَأَى زَوْجَهَا صَوَّابَا ... كَمَا رَأَى فِي عِتْقِهَا ثَوَابَا
فَهَمَّ حَتَّى جَاءَهَا بِفِعْلِ ... كُفْءٍ لِمَا تَسَاوَيَا فِي الأَصْلِ
فَوَلَدَتْ مِنْ بَعْلِهَا بَنِيَّهْ ... ثُمَّ دَهَتْهَا بَعْدَهَا المَنِيَّهْ
فَأَحْضَرَ الأَمِيرُ تِلْكَ الطِّفْلَهْ ... إِلَيْهِ مُغْدِقًا عَلَيْهَا فَضْلَهْ
تَرَبَّلَ فِي العِزِّ وَفِي النَّعِيمِ ... رَتِعَةً فِي خَيْرِ العَمِيمِ
حَتَّى إِذَا آنَ لَهُ الزَّوَاجُ ... زَوَّدَهَا مِنْ كُلِّ مَا تَحْتَاجُ
وَغَمَرَ الزَّوْجَيْنِ بِالهِبَاتِ ... وَالمَرْءُ لَا يَعْلَمُ حُكْمَ الآتِي

فَبَدَّلَا الشُّكْرَ نَ بِالْكُفْرَانِ ... وَأَنْكَرَ صَنِيعَةَ الإِحْسَانِ
إِنَّ اللَّئِيمَ وَخَسِيسَ الأَصْلِ ... لَا يَسْتَحِقَّانِ لِبَاسَ الفَضْلِ
وَمَنْ يُرَبِّي خَلَفًا لِغَيْرِهِ ... كَبَاحِثٍ بِمَالِهِ عَنْ ضَيْرِهِ

العظة الحادية والسبعون

(الشَّيْخُ وَوَلَدُهُ وَالعَبِيدُ)

شَيْخٌ عَظِيمٌ فِي البَرَايَا سَعِيدْ ... لَهُ مِنَ الدُّنْيَا غُلَامٌ وَحِيدْ
حَلَّ بِنْهُ يَوْمًا بِسْتَانَهُ ... وَالنُّورُ فِيهِ مِثْلُ عِقْدٍ نَضِيدْ
فَعَاثَ فِيهِ لَا يُبَالِي الأَذَى ... وَغَادَرَ الزَّرْعَ هَشِيمًا حَصِيدْ
ثُمَّ أَتَى وَلَدُهُ بَعْدَهُ ... وَشَاهَدَ الرَّوْضَةَ كَادَتْ تَبِيدْ
وَقَالَ مَنْ أَتْلَفَ غَرْسِي وَهَلْ ... سَطَا عَلَى الغَرْسِ عَدُوٌّ شَدِيدْ
فَلَمْ يُجِبْهُ وَقَدْ أَطْرَقَ ... خَوْفًا عَلَى النَّجْلِ العَزِيزِ الفَرِيدْ
فَأَقْبَلَ الطِّفْلُ مُقِرًّا بِمَا ... جَنَى وَقَالَ فِعْلُ أَبِي مَا أُرِيدْ
أَنَا الَّذِي فِي رَوْضِ عَاثَتْ يَدِي ... وَخَالِقُ الكَوْنِ عَلِيمٌ شَهِيدْ
فَفَرِحَ الوَالِدُ مِنْ صِدْقِهِ ... وَخَصَّهُ مِنْ عَطْفِهِ بِالمَزِيدْ
وَقَالَ يَا نَجْلِي بَلَغْتَ الهُدَى ... فَسِرْ عَلَى النَّهْجِ القَوِيمِ السَّدِيدْ
عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَلَوْ أَنَّهُ ... أَحْرَقَ أَهْلَ الصِّدْقِ بِنَارِ الوَعِيدْ

العظة الثانية والسبعون

(الجَوَادُ وَالمُهْرُ)

كَانَ جَوَادٌ بَعْدَ عُمْرٍ طَالَا * أَنْتَجَ مُهْـرًا نَزِقًا مُخْتَالَا
رَبَّاهُ فِي مَرْعَى نَدِيٍّ مُخْصِبِ * فِي طَيِّبِ الأَكْلِ وَصَافِي المَشْرَبِ
فَمَلَّ تِلْكَ العِيشَةَ المَرْضِيَهْ * وَسَاوَرَتْهُ دُونَهَا أُمْنِيَّهْ
فَقَالَ لِلْوَالِدِ إِنِّي ذَاهِبُ * عَنْ مَرْتَعٍ ضَاقَتْ بِهِ المَذَاهِبُ
كَفَى الَّذِي لَاقَيْتُ مِنْ تَحَمُّلِ * فَلَذَّةُ الحَيَاةِ فِي التَّنَقُّلِ
أَجَابَهُ الوَالِدُ لَا شَيْءَ نَدَى * أَحَبُّ مِمَّا تَتَمَنَّى يَا بُنَيْ
إِنِّي أَسِيرُ حَيْثُمَا تَسِيرُ * وَالرَّأْيُ يَا بُنَيَّ مَا تُشِيرُ
وَخَافَ أَنْ يَأْبَى إِذَا مَا مَنَعَهْ * وَاسْتَعْمَلَ الحِكْمَةَ حِينَ اتَّبَعَهْ
وَسَارَ ذَاكَ الأَصْلُ خَلْفَ الفَرْعِ * فَنَزَلَا أَرْضًا بِغَيْرِ زَرْعِ
وَبَاتَ كُلٌّ مِنْهُمَا فِي جُوعِ * وَلَمْ يَذُوقَا لَذَّةَ الهُجُوعِ
فَصَارَ يَشْكُو المُهْرُ سُوءَ الحَالِ * مُطَالِبًا أَبَاهُ بِالتَّرْحَالِ
فَرَدَّهُ أَبُوهُ رَدَّ المُعْجَبِ * لِلرَّوْضَةِ الأُولَى الَّتِي لَمْ تُعْجِبِ
حَتَّى إِذَا تَنَفَّسَ الصَّبَاحُ * وَانْتَعَشَتْ بِضَوْئِهِ الأَرْوَاحُ
وَأَكَلَ المُهْرُ مِنَ الأَعْشَابِ * وَشَرِبَ العَذْبَ مِنَ الشَّرَابِ

قَالَ أَبِي ذَا الرَّوْضُ مَا أَحْلَاهُ ... وَعُشْبُهُ فِي الْجِسْمِ مَا أَمْرَاهُ
قَالَ أَبُوهُ الْيَوْمَ تَشْتَهِيهِ ... وَهُوَ الَّذِي بِالْأَمْسِ كُنْتَ فِيهِ
وَالْمَرْءُ طَبْعًا زَاهِدٌ فِيمَا مَلَكْ ... وَهْوَ جَرَى بِأَمْرِهِ حُكْمُ الْفَلَكْ
وَمِنْ قَدِيمٍ قَالَتِ الْأَسْلَافُ ... مَنْ يَمْلِكِ الشَّيْءَ لَهُ يَعَافُ

العظة الثالثة والسبعون

(الفلاح والملك)

اِسْمَعْ حَدِيثَ مَلِيكٍ عَزَّ فِي النَّاسِ * أَجْرَتْ عَلَيْهِ اللَّيَالِي حُكْمَهَا الْقَاسِي
فَفَارَقَ الْمُلْكَ رَغْمًا مِنْ إِرَادَتِهِ * وَجُرِّعَ الذُّلَّ بَيْنَ الْكَاسِ وَالطَّاسِ
وَظَنَّ أَنْ لَا يَعُودَ الْمُلْكُ إِذْ ذَهَبَتْ * آمَالُهُ وَدَهَتْهُ شِدَّةُ الْيَاسِ
لَكِنْ أَخُو الْجُودِ إِنْ تَجْرَحْهُ جَارِحَةٌ * كَانَتْ أَيَادِيهِ نِعْمَ الطِّبُّ وَالْآسِي
وَمَا رَعَى مَلِكٌ قَوْمًا بِمَكْرُمَةٍ * إِلَّا رَعَاهُ بِنَصْرِ مَالِكِ النَّاسِ
وَبَيْنَمَا كَانَ فِي حُزْنٍ وَفِي نَكَدٍ * وَافَاهُ ذُو أَدَبٍ رَاقٍ وَأَحْسَاسِ
وَقَالَ مَوْلَايَ إِنْ جَارَ الزَّمَانُ فَمَا * عَلَيْكَ مِنْ حَادِثِ الْأَيَّامِ مِنْ بَاسِ
أَنْتَ الْمَلِيكُ وَرُوحِي أَفْتَدِيكَ بِهَا * مَادَامَ فِي الْجِسْمِ تَرْدِيدٌ لِأَنْفَاسِي
إِلَيْكَ مَا لِيَ فَاغْزُ الْمَارِقِينَ بِهِ * وَعُدْ عَزِيزًا وَوَطِّدْ مُلْكَكَ الرَّاسِي
وَبَعْدَ نَصْرِكَ مَا تَرْجُو سَرَائِرُنَا * سِوَى بَقَائِكَ فِينَا سَالِمَ الرَّاسِ

فَاسْتَرْجَعَ المُلْكَ مِنْ أَيْدِي مُنَاظِرِهِ * وَفَازَ مِنْ وَحْشَةِ الدُّنْيَا بِإِينَاسِ
مَنْ يَفْعَلِ الخَيْرَ لَا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ * لَا يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ

العظة الرابعـــة والسبعون

(الحَارِثُ وَزَوْجَتُهُ والجحْشُ)

رَكِبَ جَحْشًا حَارِثٌ عَلَى سَفَرْ * وَتَبِعَتْهُ زَوْجُهُ عَلَى الأَثَرْ
فَقَالَ قَوْمٌ قَدْ أَعَزَّ نَفْسَـــهُ * بِغَيْرِ حَقٍّ وَأَذَلَّ عُرْسَـــهُ
فَقَامَ كَيْ يَرْتَاحَ فِي زَمَانِهِ * يُسْكِتُ مَنْ يَحْذَرُ مِنْ لِسَانِهِ
فَانْحَطَّ عَنْ مَرْكَبِـهِ تَرَجُّلَا * وَامْتَطَتِ الزَّوْجَةُ مِنْهُ بَدَلَا
فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ هَلْ تُفَضِّلُ * عَلَى الرِّجَالِ امْرَأَةً لَا تَعْقِلُ
فَقَالَ أَبْتِي مُرْدِفٌ لِزَوْجَتِي * حَتَّى يَكُفَّ النَّاسُ عَنْ مَذَمَّتِي
فَامْتَطَيَا الجَحْشَ إِلَى أَنْ ضَعُفَا * وَكَلَّ مِنْ حَمْلِهِمَا فَوَقَفَا
فَقَالَ آخَرُونَ كَمْ فِي النَّاسِ * مِنْ خَشِنٍ فَظِّ الفُؤَادِ قَاسِ
فَنَزَلَا عَنْـــهُ بِلَا تَوَانٍ * لِيَمْنَعَا شِقْشِقَةَ اللِّسَـــانِ
فَقَالَ شَاهِدٌ لِهَذِي الحَـالِ * قَدْ نُكِبَ الزَّوْجَانِ بِالخَبَالِ
فَقَالَ هَذَا الحَارِثُ المِسْكِينُ * كُلُّ امْرِئٍ بِرَأْيِهِ مَفْتُونُ
وَالشُّكْرُ فِي النَّاسِ قَلِيلٌ جِدًّا * إِنْ لَمْ تُصَابِرْهُمْ بَقِيتَ فَرْدَا

جُهْدُ البَلاءِ صُحْبَةُ الأَضْدَادِ * فَإِنَّهَا كَكَيٍّ عَلَى الفُؤَادِ
أَنِّي فَعَلْتُ كُلَّ مَا فِي وُسْعِي * لِأُرْضِيَ النَّاسَ فَخَابَ صُنْعِي
مَهْمَا يَكُنْ لِلإِنْسَانِ رَبَّ حَقٍّ * فَغَيْرُ مُرْضٍ لِجَمِيعِ الخَلْقِ

العظة الخامسة والسبعون

(العُمْدَةُ والمُضَارِبُ)

مِنَ الرِّيفِ فِي أَحْدَى لَمَدَائِنِ عُمْدَةٌ * تَظَاهَرَ بَيْنَ النَّاسِ بِالكَسْبِ والغُنْمِ
فَصَارَ يَبِيعُ الطِّينَ آنًا وَيَشْتَرِي * سِوَاهُ بِلَا رَأْيٍ سَدِيدٍ وَلَا فَهْمِ
يُسَدِّدُ مِنْ هٰذَا لِهٰذَا دُيُونَهُ * بِغَيْرِ تَرَوٍّ فِي الحِسَابِ وَلَا عِلْمِ
إِلَى أَنْ مَضَى عَامٌ وَأَقْبَلَ غَيْرُهُ * وَزَادَ عَلَيْهِ الدَّيْنُ مِنْ قِلَّةِ الحَزْمِ
فَمَا قَامَ بِالدَّيْنِ الَّذِي حَلَّ قِسْطُهُ * وَبَاعَ جَمِيعَ الطِّينِ فِي الحَالِ بِالرَّغْمِ
فَمَا نَالَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ جُدُودُهُ * وَمَا زَادَ إِلَّا النَّقْصَ فِي الجَاهِ وَالِاسْمِ
وَأَيْقَنَ أَنَّ الدَّهْرَ يَهْدِمُ صَرْفُهُ * بِنَاءً لِمَنْ يَغْتَرُّ فِي الدَّهْرِ بِالوَهْمِ
وَإِنَّ وَفَاءَ الدَّيْنِ بِالدَّيْنِ لَمْ يَكُنْ * وَفَاءً وَلٰكِنْ كَانَ غُرْمًا عَلَى غُرْمِ

العظة السادسة والسبعون

(الصَيَّادُ والعُصْفُورُ)

كَانَتْ عَصَافِيرٌ بِرَوْضٍ زَاهِرِ * تَرْتَعُ فِي صَفْوٍ وَعَيْشٍ نَاضِرِ
وَكَانَ صَيَّادٌ لَهَا فِي مَرْقَبِ * يَعُدُّ صَيْدَهَا أَعَزَّ مَطْلَبِ
لٰكِنَّهُ إِذَا عَدَا عَلَيْهَا * طَارَتْ وَخَابَ سَعْيُهُ إِلَيْهَا
فَٱنْسَلَّ وَٱخْتَفَى خِلَالَ العُشْبِ * وَمَدَّ كَفَّهُ بِبَعْضِ الحَبِّ
فَجَاءَ عُصْفُورٌ قَلِيلُ الفَهْمِ * لَيْسَ لَهُ بِمَكْرِهِ مِنْ عِلْمِ
فَحَطَّ فَوْقَهَا وَعِنْدَمَا وَقَفْ * أَدْرَكَهُ المُحْتَالُ حَالًا وَٱلْتَقَفْ
وَقَالَ عُصْفُورٌ رَأَى العُصْفُورَا * إِنِّي مِنْ وَكْرِي لَنْ أَطِيرَا
وَظَنَّ كُلَّ حَبَّةٍ هِيَ الشَّرَكْ * فَصَابَرَ الجُوعَ إِلَى حِينِ هَلَكْ
فَصَحَّ فِيهِ أَنَّهُ مِنَ الفَزَعْ * فَرَّ مِنَ المَوْتِ وَفِي المَوْتِ وَقَعْ

العظة السابعة والسبعون

(الوَالِدُ وَوَلَدُهُ)

عَجُوزٌ لَهُ وَلَدٌ لَمْ يَكُنْ * شَبِيهاً لَهُ بِسِوَى شَخْصِهِ
بَلِيدُ الفُؤَادِ ضَعِيفُ الحِجَا * تَدُلُّ الفِعَالُ عَلَى نَقْصِهِ
فَأَوْفَدَهُ فِي شُؤُونٍ لَهُ * وَعَرَّفَهُ الحُكْمَ مِنْ نَصِّهِ

فَلَمْ يَقْضِ أَمْرًا وَضَاعَتْ بِهِ ... وَصَايَا أَبِيـــهِ عَلَى حِرْصِهِ
إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا ... فَأَرْسِلْ حَكِيمًا وَلَا تُوصِهِ
وَإِنْ بَابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ الْتَوَى ... فَشَاوِرْ عَلِيمًا وَلَا تَعْصِـــهِ

العظة الثامنة والسبعون

(الخادم ومولاه)

كَانَ لِبُشْرٍ خَادِمٌ أَمِينُ ... يَصْدُقُ فِي الْخِدْمَةِ لَا يَمِينُ
أَقَامَهُ تَامًّا عَلَى الْحَصَادِ ... وَكِيلَهُ لِدَفْعِ كُلِّ عَادِ
وَدَارَتِ الدَّوَارِجُ الْكَبِيرَهْ ... عَلَى جِبَالِ السُّنْبُلِ الْكَثِيرَهْ
فَكَانَ فِي نَهَارِهِ مُدِيرَهَا ... وَفِي ظَلَامِ لَيْلِهِ خَفِيرَهَا
يَذُودُ عَنْهَا النَّاسَ وَالطُّيُورَا ... وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَا
فَجَاءَهُ الْعُصْفُورُ سِرْبًا سِرْبَا ... يَلْقُطُ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ حَبَّا
وَكُلَّمَا شَـــرَّدَهُ عَادَ لَهُ ... كَأَنَّهُ فِي حَرْبِهِ عَادَلَهُ
فَضَاقَ مِنْهَا صَدْرُهُ وَحَارَا ... وَمِنْ تَوَالِي فِعْلِهَا اسْتَجَارَا
فَقَالَ مِثْلِي لَيْسَ مِمَّنْ يُقْهَرُ ... وَحِيلَتِي تَعْـدَادُهَا لَا يُحْصَرُ
أُوقِدُ فِي هَذِي الْغِلَالِ لَهَبَا ... وَهِيَ الَّتِي تُلْزِمُهُنَّ الْأَدَبَا
فَأَضْرَمَ النَّارَ كَمَا أَشَارَا ... حَتَّى عَلَتْ وَأَرْسَلَتْ شَرَارَا

فَاحْتَرَقَ الْحُزْنُ وَطَارَ الطَّيْرُ * وَلَمْ يُصِبْ غَيْرَ الْحُبُوبِ الضَّيْرُ
جَاءَهُ مَوْلَاهُ قَالَ مَالِي * أَضَعْتَهُ يَا أَجْهَلَ الْجُهَّالِ
ظَنَنْتُكَ الْمُصِيبَ لَا الْمُصَابَا * فِي عَقْلِهِ وَالظَّنُّ فِيكَ خَابَا
حَقِيقَةٌ كَمْ مِنْ عَدُوٍّ عَاقِلٍ * فِي النَّاسِ خَيْرٌ مِنْ صَدِيقٍ جَاهِلِ

العظة التاسعة والسبعون

(السائحان)

جَازَ إِلْفَانِ مُوسِرٌ وَفَقِيرٌ * فَدْفَدًا يَأْنَسَانِ بِالْاِصْطِحَابِ
فَرَأَى أَسْعَدُ الرَّفِيقَيْنِ كِيسًا * فِي مَكَانٍ مُحَبَّأٍ بِالتُّرَابِ
فَجَرَى مُسْرِعًا إِلَيْهِ وَوَارَا * هُ بِحِذْقٍ وَلَمْ يَفُهْ بِخِطَابِ
قَالَ ثَانِيهِمَا لِيَ النِّصْفُ مِنْهُ * قِسْمَةَ الصَّادِقِينَ وَالْأَحْبَابِ
قَالَ مَنْ حَازَهُ مِنَ الْأَرْضِ كَلَّا * هُوَ رِزْقِي وَأَنْتَ تَبْغِي اغْتِصَابِي
وَإِذَا بِاللُّصُوصِ جَاءَتْ وَكَانَتْ * قَدْ تَوَارَتْ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ بِغَابِ
قَالَ مَنْ عِنْدَهُ النُّقُودُ وَقَفْنَا * مَوْقِفَ الشَّاةِ مِنْ نِيَابِ الذِّئَابِ
فَأَجَابَ الرَّفِيقُ إِنِّي بَرِيءٌ * وَسَلِيمٌ مِنْ مَسِّ ذَاكَ الْمُصَابِ
وَأَنَا عَنْكَ ذَاهِبٌ وَمُوَلٍّ * وَلَكَ الْوَيْلُ بَعْدَ هٰذَا الذَّهَابِ
ثُمَّ وَلَّى عَنْهُ لِيَعْرِفَ ذَاكَ الصَّـ * ـاحِبُ الْمُسْتَبِدُّ قَدْرَ الصِّحَابِ

فَأَتَاهُ اللُّصُـوصُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ * وَأَذَاقُوهُ مِنْ كُؤُوسِ العَذَابِ
سَلَبُوهُ مَا كَانَ مَعْهُ وَلَمْ يَرْ * جِعْ بِغَيْرِ الأَسَى وَغَيْرِ الإِهَابِ
ثُمَّ لَمَّا اسْـتَفَاقَ أَنْشَدَ بَيْتًـا * هُوَ عِنْدَ الخُطُوبِ فَصْلُ الخِطَابِ
إِعْرِفِ النَّاسَ فِي رَخَائِكَ تَعْرِفْـــكَ لَدَى شِدَّةٍ وَيَوْمِ مُصَابِ

العظة الثمانون

(البُومَةُ وَالهِرُّ وَالإِوَزَّةُ وَالفَأْرُ)

بَعْضُ التَّلَامِيـذِ أَتَى بُومَهْ * مِنْ عُشِّهَا يَنْفِي بِهَا هُمُومَهْ
وَقَدْ تَرَبَّتْ فِي رِحَابِ المَدْرَسَهْ * وَبِالتَّلَامِيذِ غَدَتْ مُسْتَأْنِسَهْ
فَصَاحَبَتْ إِوَزَّةً وَهِرَّا * وَعِشْنَ فِي وُدٍّ حَمِيمٍ دَهْرَا
كُنَّ ذَوَاتَ أَدَبٍ وَفَهْمِ * يَسْمَعْنَ كَالطُّلَّابِ دَرْسَ العِلْمِ
حَتَّى عَرَفْنَ ظَاهِرَ الشَّرِيعَهْ * كَمَا عَرَفْنَ بَاطِنَ الطَّبِيعَهْ
فَاجْتَمَعَتْ يَوْمًا مِنَ الأَيَّامِ * وَبَحَثَتْ فِي عِـبَرِ الأَنَامِ
تُقَلِّبُ القَـدِيمَ وَالحَـدِيثَا * مُكْثِرَةً فِي الأُمَمِ الحَدِيثَا
فَابْتَدَأَ المَقَالَ فِيهَا الهِـرُّ * وَقَالَ حَازَتْ كُلَّ فَخْرٍ مِصْرُ
فَقَالَتِ البُومَةُ لِلْيُونَانِ * مَجْدٌ سَمَا مِنْ سَالِفِ الزَّمَانِ
كَمْ ظَهَرَتْ فِي عَالَمِ الوُجُودِ * آثَارُهُمْ فِي المَوْقِفِ المَشْهُودِ

وَعِنْـدَ ذَاكَ قَالَتِ الْأَوْزَهْ * ضَلَلْتُمَا عَمَّنْ لَهُ الْمَعَـزَّهْ
فَأَيْنَ أَنْتُمَا مِنَ الرُّومَانِ * ذَوِي الْعُـلَا وَالْعِزِّ وَالْعِرْفَانِ
فَكَمْ لَهُمْ مِنْ جَوْلَةٍ وَصَـوْلَهْ * ذَلَّتْ لَهَا فِي الْأَرْضِ كُلُّ دَوْلَهْ
وَصَـارَ كُلٌّ جَازِمًا بِفِكْرِهِ * وَمُسْتَبِدًّا بَيْنَهُـمْ بِأَمْرِهِ
وَكَانَ فَأْرٌ يَسْمَعُ الْجَدَلَا * مِنْ دَاخِلِ الْجُحْرِ فَهَبَّ حَالَا
وَقَالَ يَا قَوْمُ اسْمَعُوا لِي فِكْرَا * لَا أَبْتَغِي مِنْكُمْ عَلَيْـهِ أَجْرَا
لَوْ جُبِلَ النَّاسُ عَلَى الْإِنْصَافِ * لَمْ تَرَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ خِلَافِ
فَكُلُّكُمْ أَجَلَّ مَنْ أَجَلَّهْ * وَلَيْسَ حُبٌّ خَالِيًا مِنْ عِلَّهْ

العظة الحادية والثمانون

(شَكَاةُ الدَّهْرِ)

مَا لِآبَائِنَا وَمَا لِبَنِيـنَا * فِي أَمَانٍ مِنَ الزَّمَانِ الْخَـؤُونِ
خَلَقَتْهُـمْ آبَاؤُهُمْ لِحَيَـاةٍ * كُلُّهَا شِـقْوَةٌ كَمَا خَلَّفُـونِي
تَرَكَتْهُمْ نَوَائِبُ الدَّهْرِ صَرْعَى * وَسَرِيعًا لِحُكْمِهَا تَرْكُونِي
حَمَّلَتْهُـمْ مَالَا يُطِيقُونَ مِنْهَا * وَهُمُ مِنْ هُمُـومِهَا حَمَّلُونِي
أَنَّ دَهْرًا مِنْـهُ الشَّكَايَةُ لَوْ أَنْـ * ـصَفَ أَهْلِي يَوْمًا بِهِ أَنْصَفُونِي
مَا لِهٰذِي الْحَيَاةِ طِيبٌ وَهَلْ غَيْـ * ـرُ أَمَانٍ بِطِيبِهَا عَلَّلُـونِي

إِنَّ قَلْبِي يَرَى الفَضَاءَ مَضِيقًا * وَرَحِيبًا تَرَى الفَضَاءَ عُيُونِي
غُرَّ غَيْرِي يَادَهْرُ فَالمَوْتُ حَتْمٌ * فَإِذَا جَاءَ مَوْعِدِي قَبَرُونِي
لَا فِرَارًا مِنَ المَنُونِ وَلَا رَا * حَةَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ هٰذِي المَنُونِ
لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ خُلِقْتُ وَلَا كُنْـ * ـتُ عَرَفْتُ الوَرَى وَلَا عَرَفُونِي
رَبِّ أَنْتَ العَلِيمُ مَالِيَ ذَنْبٌ * بِشَقَاءِ الحَيَاةِ قَدْ ظَلَمُونِي

العظة الثانية والثمانون

(الجَاهِلُ المُثْرِي)

يَضَعُ النُّقُودَ الجَاهِلُ المُثْرِي * فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا وَلَا يَدْرِي
فَيَضِنُّ فِي الحَاجَاتِ عَنْ سَعَةٍ * وَيَفِيضُ لِلغَايَاتِ عَنْ بَحْرِ
هٰذَا هُوَ المَغْرُورُ تُبْصِرُهُ * خَلْفَ الغُرُورِ مُؤَمِّلًا يَجْرِي
يَهْوَى مِنَ الدُّنْيَا الظُّهُورَ بِهَا * فَيَزِيدُ فِي التَّبْذِيرِ لِلْفَخْرِ
وَالجُودُ لَيْسَ بِنَافِعٍ أَبَدًا * إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَوْرِدِ البِرِّ
شَرُّ المَوَاهِبِ مَا تَجُودُ بِهِ * فِي غَيْرِ مَحْمَدَةٍ وَلَا أَجْرِ

العظة الثـالثـــة والثمانون

(الأَرْنَبُ وَطَيْرُ الشُّرْشُورِ)[1]

صَاحَبَ يَوْمًا أَرْنَبٌ شُرْشُورَا * لَمْ يَـلْـقَ خِدَّانًا وَلَا شِـــرِّيرَا
وَعَاشَ كُلٌّ عِيشَةَ الْإِخَاءِ * فِي شِـــدَّةِ الْأَيَّامِ وَالـرَّخَاءِ
يَجْتَمِعَانِ فِي الضُّحَى وَالْفَجْرِ * ذٰلِكَ فِي الْعُشِّ وَذَا فِي الْجُحْـرِ
فَأَبْطَأَ الشُّرْشُـورُ ذَاتَ مَرَّهْ * وَمَا دَرَى صَاحِبُـهُ مَقَـــرَّهْ
فَرَاحَ عَنْـهُ بَاحِثًا فِي الـوَادِي * يَسْـأَلُ كُـلَّ رَائِحٍ وَغَادِ
حَـتَّى رَآهُ بِسَـرَايِ الْمَلِكِ * فِي قَفَصٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ مَسْـلَكِ
فَأَعْمَلَ الْحِيلَةَ فِي قَرْضِ الْقَفَصْ * وَفَتَـحَ الْبَـابَ لَهُ حَتَّى خَلَصْ
وَانْطَلَقَـا كَالرِّيحِ يَجْرِيَانِ * مَخَافَةً مِنْ صَـوْلَةِ السُّلْطَانِ
لَمَّـا دَرَى الْمَلِيـكُ بِالْأَمْرِ صَخِبْ * وَقَالَ هٰـذِي قَتْلُهَا حَقًّـا يَجِبْ
فَقَـامَتِ الشُّرْطَةُ فِي الْأَرَانِبِ * تَقْتُلُهُمَـا فِي الشَّرْقِ وَالْمَغَـارِبِ
وَالْأَرْنَبُ الْمُذْنِبُ أَمْسَى يَرْتَجِفْ * لِأَنَّهُ بِمَـا جَنَـاهُ مُعْـتَرِفْ
ثُمَّ أَتَى يَسْـتَنْجِدُ الشُّرْشُـورَا * مِنْ شَرِّ يَوْمٍ كَانَ مُسْـتَطِيرَا
فَقَالَ نَمْ وَلَا تَخَفْ مِنَ الْمِحَـنْ * لِمَـا بِهِ طَوَّقْتَنِـي مِنَ الْمِنَنْ

(١) طائر يسمى الوقش جمعه شراشير ومفرده شرشور كعصفور

أنَا الصـديقُ أفْتَدِى صَديقِى * أنَا الَّذِى يَنْفَـعُ وَقْتَ الضِّـيقِ
إنَّ عَرِيقَ الأَصْلِ فِى الإِخْوانِ * يُقَـبِلُ الإِحْسَانَ بِالإِحْسَـانِ
فَلاَ تَخَـفْ مِنْ جَائِرٍ أو مَالِكِ * فَأَنْتَ فِى حِرْزٍ مِنَ المَهَـالِكِ
مَطَالِبُ الخَـيْرِ جَمِيعًا سَهْـلَهْ * وَخَـيْرُ لَا يَطْلُبُ إِلَّا أَهْـلَهْ
هَيَّا بِنَـا نَسْبَحُ فَوْقَ الزَّاخِرِ * وَنَـتْرُكُ الأَرْضَ لِذَاكَ الجَائِرِ
وَهَـذِهِ سَـفِينَـةُ النَّجَاةِ * نَرْكَبُهَا فِى فُرْصَـةِ الأَوْقَاتِ
حَـتَّى نُوَافِى سَاحِلَ السَّـلَامَهْ * وَنَغْـنَمَ رَاحَةَ وَالكَرَامَهْ
فَقَـالَ إِنِّى خَائِفٌ مِنَ الأَذَى * عَلَيْكَ مِنْـهُ فَأَجَابَ حَبَّـذَا
إِنَّ أَخَاكَ الصِّدْقَ مَنْ يَسْعَى مَعَكْ * وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَـهُ لِيَنْفَعَكْ

العظة الرابعة والثمانون

(مُحِبُّ المَـالِ)

مِنَ الرِّيفِ فَلَّاحٌ تَطَلَّعَ لِلْغِنَى * وَبَاتَ لَهُ حُبُّ المَكَاسِبِ دَيْدَنَا
وَكَانَ لَهُ طِينٌ خَصِيبٌ فَرَامَ أَنْ * يَـزِيدَ بِهِ أَرْبَاحَـهُ مُتَفَنِّنَا
فَقَالَ أَرَى كُلَّ المَكَاسِبِ فِى الرِّبَا * بِهِ يَتَسَـنَّى وَافِـرُ الرِّزْقِ هَيِّنَا
فَأَوْقَـرَ بِالرَّهْنِ المُقَسَّطِ أَرْضَـهُ * وَأَقْرَضَ بَعْضَ المَالِ بِالكَسْبِ مُوقِنَا
وَأَخْفَى الَّذِى أَبْقَاهُ فِى الدَّارِ رَاجِيًا * مَزِيدَ مَرَبَّةٍ بِهِ إِنْ تَمَكَّنَا

فَأَمَّا مُدِينُـــوهُ فَفَـازُوا بِمَـالِهِ * وَلَمْ يَكُ مِنْهُـــمْ وَاحِدٌ لِيُـؤَمِّنَـا
وَأَمَّا الَّذِي أَبْقَـاهُ مِنْـهُ خَبِيئَةً * فَأَدْرَكَهُ لِصٌّ وَعَفَّـاهُ مَـوْهِنَـا
فَبَـاتَ بِلَا مَالٍ وَغَالَ حَرَامُـــهُ * مُحَلَّلَهُ وَٱعْتَاضَ بُؤْسًـا مِنَ الْمُنَى
بُلُوغُ الْمُـنَى أَلَّا تُكَاثِرَ بِالْمُـنَى * وَنَيْـلُ الْغِنَى أَلَّا تُفَـكِّرَ فِي الْغِنَى
وَمَنْ كَانَ لِلدُّنْيَـا أَشَـدَّ تَصَوُّنًا * تَجِدْهُ عَنِ الدُّنْيَـا أَشَـدَّ تَصَوُّنَا

العظة الخامسة والثمانون

(الْبُـــؤَسَاءُ)

ثَـلَاثَةٌ مَالَهُـمْ نَصِـيرُ * وَلَا مُحِبٌّ وَلَا مُجِـيرُ
ثَـلَاثَةٌ حَائِرٌ جَرِيءٌ * وَذُو ٱحْتِيَـالٍ وَمُسْتَطِيرُ
كَأَنَّهُـمْ فِي الْوُجُودِ وَهْمٌ * فَلَا مَمَـاتٌ وَلَا نُشُـورُ
إِذَا دَجَا اللَّيْلُ سَامَرَتْهُمْ * دُمُوعُهُمْ وَالْبُكَا سَمِيرُ
وَإِنْ بَدَا الصُّبْحُ طَالَعَتْهُمْ * حَـوَادِثٌ كُلُّهَا نَكِـيرُ
فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَقَالُوا * فِي الْهَجْرِ خَيْرٌ لَنَـا كَثِيرُ
وَبَعْـدَ هٰذَا رَأَوْا غَدِيرًا * يَكَادُ مِنْ مَوْجِهِ يَثُورُ
مَدَّ إِلَيْهِ الضَّعِيفُ رِجْلًا * إِذَا بِهِ مَـأْوُهُ غَـزِيرُ
فَقَـالَ أَبْنِي عَلَيْهِ جِسْرًا * يَسْهُلُ مِنْ فَوْقِهِ الْمُرُورُ

قَالَ الضَّعِيفُ الجَبَانُ مِنْهُمْ ... لَا تَسْمَعَا نُصْحَهُ غُرُورُ
وَقَالَ شَهْمُ الفُؤَادِ مِنْهُمْ ... بِالحَزْمِ قَدْ يَسْهُلُ العُبُورُ
وَرَاحَ وَسْطَ الغَدِيرِ يَجْرِي ... وَلَا وُقُوفٌ وَلَا عُثُورُ
وَظَلَّ فِي الشَّطِّ صَاحِبَاهُ ... مَا مِنْهُمَا وَاحِدٌ يَسِيرُ
فَقَالَ هَيَّا إِلَيَّ خُوضَا ... فَالخَوْضُ فِي مِثْلِهِ يَسِيرُ
إِنْ تَجْبُنَا عِشْتُمَا بِضَيْمٍ ... وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الجَسُورُ

العظة السادسة والثمانون

(المغترُّ بالناس)

فَتًى شَاقَهُ أُنْسُ الأَنَامِ مِنَ الصِّبَا ... فَظَنَّ بِهِمْ خَيْرًا وَذَاكَ غُرُورُ
يُبَالِغُ فِي إِكْرَامِهِمْ مُتَلَطِّفًا ... إِذَا صَادَفُوهُ فِي الطَّرِيقِ يَسِيرُ
يُقَابِلُ بِالتَّرْحَابِ أَيَّابِهِ الْتَقَى ... سَوَاءٌ خَفِيرٌ عِنْدَهُ وَأَمِيرُ
إِلَى أَنْ دَهَتْهُ عُسْرَةٌ بَعْدَ يُسْرَةٍ ... فَلَمْ يَكُ مِعْوَانٌ لَهُ وَنَصِيرُ
فَأَصْبَحَ مِمَّا نَالَهُ وَفُؤَادُهُ ... عَلِيمٌ بِأَحْوَالِ الرِّجَالِ خَبِيرُ
يَقُولُ أَلَا أَنَّ الوِدَادَ تِجَارَةٌ ... إِذَا لَمْ يُؤَيِّدْهَا السَّخَاءُ تَبُورُ
لَئِنْ كَانَ مَنْ قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمُ ... يُعَدُّ صَدِيقًا فَالصَّدِيقُ كَثِيرُ

العظة السابعة والثمانون

(الكَلْبُ وَالنَّعْجَةُ)

النَّعْجَةُ اشْتَكَتْ لِكَلْبٍ مَرَّهْ * عِلْمًا بِأَنَّهُ أَمِينُ العِشْرَهْ
قَالَتْ لَهُ إِنِّي وَرَبِّي كُلَّمَا * نظرت فِي أَمْرِي ذبْتُ أَلَمَا
إِذْ أَنَّنِي لِنَفْعِ قَوْمِي أَسْعَى * لَكِنَّهُمْ لَا يَحْمَدُونَ صُنْعَا
يُعَامِلُونَ أَسْوَأَ المُعَامَلَهْ * وَلَا يَرَوْنَ سُنَّةَ المُجَامَلَهْ
لِبَاسُهُمْ صُوفِي وَهٰذَا بَدَنِي * غِذَاؤُهُمْ وَشُرْبُهُمْ مِنْ لَبَنِي
وَمِنِّيَ السِّمَادُ لِلأَرَاضِي * بِهِ النَّبَاتُ فِي الرِّيَاضِ
فَكَمْ تُقَاسِي مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ * خَطْبًا وَكُلُّنَا لِذَاكَ نَاسِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَذْبَحُونَ جُمْلَهْ * مِنَّا وَمَا غَيْرُ الغِذَاءِ عِلَّهْ
وَمِنْ عَجِيبٍ أَنْ يَنَالُوا الدَّرَّا * مِنَّا وَيَبْتَغُونَ فِينَا الضُّرَّا
وَحَظُّنَا فِي النَّاسِ حَظُّ ضَائِعُ * وَإِنَّمَا دِينُهُمُ المَنَافِعُ
وَبَعْدَ هٰذَا كُلِّهِ نُكَلَّفُ * شُكْرَانَهُمْ إِلَى مَتَى لَا نُنْصَفُ
وَأَنْتَ يَاعَبْدَ بَنِي الإِنْسَانِ * يَاخَاضِعًا لَهُمْ مَدَى الزَّمَانِ
يَجْزُونَكَ القَتْلَ عَلَى اجْتِهَادِكْ * وَيُنْزِلُونَ السَّبَّ فِي أَجْدَادِكْ
رَضِيتَ بِالذُّلِّ وَبِالهَجَاجِ * وَصِرْتَ كَالنَّعْجَةِ فِي النِّعَاجِ

أجابَهُ الكَلْبُ لَقَدْ شَكَوْتَ * بِالحَقِّ وَالجَمِيلُ أَنْ عَفَوْتَ
فَلْيَرْتَبِطْ بِالصَّبْرِ مَنْ ذِي حَالُهُ * حَسْبُ المُسِيءِ وَصْمَةً فِعَالُهُ
كَمْ نَخْلَةٍ يَرْمُونَهَا بِحَجَرِ * ظُلْمًا فَتَرْمِي بِلَذِيذِ الثَّمَرِ

العظة الثامنة والثمانون

(المَلِكُ وَالمُلْكُ)

تَرَبَّعَ فِي عَرْشِ أَجْدَادِهِ * مَلِيكٌ تَرَبَّى كَرِيمَ الخِلَالِ
وَكَانَ المَلِيكُ الَّذِي قَبْلَهُ * كَثِيرَ الكَلَامِ قَلِيلَ الفِعَالِ
تُحِيطُ بِهِ زُمْرَةُ المُفْسِدِينَ * فَيَلْبَثُ مَا بَيْنَ قِيلٍ وَقَالِ
وَكَادَ يَزُولُ بِهِ مُلْكُهُ * وَمُلْكُ الضَّعِيفِ سَرِيعُ الزَّوَالِ
فَلَمَّا تَوَلَّى المَلِيكُ الَّذِي * تَلَاهُ وَأَدْرَكَ سِرَّ اللَّيَالِي
أَقَامَ يُدِيرُ شُؤُونَ البِلَادِ * وَبِالعَدْلِ يَبْلُغُ أَوْجَ المَعَالِي
وَقَرَّبَ أَهْلَ النُّهَى الرَّاشِدِينَ * وَأَقْصَى المُرَائِينَ أَهْلَ الضَّلَالِ
وَوَلَّى المَنَاصِبَ أَرْبَابَهَا * وَأَعْطَى القِسِيَّ رُمَاةَ النِّبَالِ
فَأَصْبَحَ مُلْكًا رَفِيعَ الذُّرَا * عَزِيزَ المَقَامِ عَدِيمَ المِثَالِ
وَأَضْحَى الرِّجَالُ عَلَى عَهْدِهِ * كِبَارَ النُّفُوسِ كِرَامَ الخِصَالِ
كَذَاكَ يُرَقِّي شُؤُونَ البِلَادِ * وَأَهْلَ البِلَادِ مُلُوكُ الكَمَالِ
فَشَرْطُ الفِلَاحَةِ غَرْسُ النَّبَاتِ * وَشَرْطُ الرِّيَاسَةِ غَرْسُ الرِّجَالِ

العظة التاسعة والثمانون

(مُحِبُّ الوَحْدَةِ)

عَاقِلٌ حَاوَلَ جَهْـدَهْ ✻ أَنْ يَعِيشَ العُمْرَ وَحْدَهْ
عَاهَـدَ النَّفْسَ عَلَى أَنْ ✻ تُثْبِتَ الأَيَّامَ عَهْـدَهْ
سَيِّئُ الحَظِّ وَلَكِنْ ✻ فَضْـلُهُ شَـيَّدَ مَجْـدَهْ
بَاحِثًا فِي كُلِّ فَنٍّ ✻ قَادِحًا لِلْفِكْرِ زَنْدَهْ
عَالِمًا أَنَّ كَثِيرَ الـ ـصَّحْبِ لَا يُرْجَى نِشْدَهْ
مَارَسَ الخَلْقَ فَزَادَتْ ✻ تُرَّهَاتُ الخَلْقِ زُهْـدَهْ
بَلَغَ البُهْتَانُ عِنْدَ الـ ـنَّاسِ فِي التَّمْلِيقِ حَدَّهْ
كُلُّ مَنْ يَفْعَلُ خَيْرًا ✻ وَاجِدٌ فِي النَّاسِ ضِدَّهْ
فَرَأَى فِي البُعْدِ عَنْهُمْ ✻ مَغْنَمًا لَا مَغْنَمَ بَعْـدَهْ
إِنَّ فِي الوَحْدَةِ فَضْـلًا ✻ لِفَتًى يَعْرِفُ قَصْـدَهْ
كُلُّ مَنْ عَاشَ فَرِيدًا ✻ نَالَ فِي الأَيَّامِ سَعْدَهْ
وَحْدَةُ العَاقِلِ خَيْرٌ ✻ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ عِنْدَهْ

العظة التسعون

(الكلب والعلف والحمار)

قد رام فوق علف الحمار ... كلب فنادى من الأشرار
وكلما رام الحمار أكله ... قام له الكلب فعض رجله
حتى غدا من جوعه هزيلا ... يوسعه صاحبه تنكيلا
ماذا جنى الحمار في دنياه ... فسلط الكلب على أذاه
لازد هذا نافع لهذا ... أيذاؤه وظلمه لماذا
قد جبلت طباع بعض الخلق ... على أذى بعض بغير حق
شر الورى من ليس يرجى خيره ... يوما ويرجى شره ضميره

العظة الحادية والتسعون

(القناعة)

يا جامع المال في الدنيا نضرت ... عيناك دنياك لا تشقى ولا تذر
قد حملت الباقي من شدائدها ... بجمعت المال ذنبا ليس يغتفر
هون عليك بجمع المال أيسرما ... يسعى إليه أخو الدنيا ويقتدر
المال مالك أن كنت استفدت به ... وليس مالك ما يبقى ويدذخر
تعيش في تعب الدنيا على أمل ... وكأنها عبر هيهات تعتبر
العيش لا عيش إلا ما قنعت به ... قد يكثر المال والإنسان مفتقر

العظة الثانية والتسعون

(الهِرَّانِ المُرَائِيَانِ)

قَدْ كَانَ هِرَّانِ فِي دَارٍ بِلَا ذَنَبٍ * لَمْ يُكْرَمَا حَيْثُمَا حَلَّا لَدَى رَجُلِ

عَاشَا مِنَ النَّقْصِ فِي هَمٍّ وَفِي نَكَدٍ * وَالنَّقْصُ مِنْ أَكْبَرِ الآفَاتِ وَالْعِلَلِ

وَكُلَّمَا نَظَرَا هِرًّا لَهُ ذَنَبٌ * فِي الدَّارِ يَخْتَالُ بَيْنَ اللَّمْسِ وَالْقُبَلِ

وَدَّا لَوَ انَّ لِكُلٍّ مِنْهُمَا ذَنَبًا * يَجُرُّهُ مُعْجَبًا فِي كُلِّ مُحْتَفَلِ

فَالهِرُّ لَيْسَ لَهُ عَيْشٌ بِلَا ذَنَبٍ * وَلَا يُمَتَّعُ فِي حِلٍّ وَمُرْتَحَلِ

فَفَكَّرَا أَنْ يَؤُمَّا دَارَ مُخْتَرِعٍ * وَلَا يُقِيمَا عَلَى ضَيْمٍ مِنَ الكَسَلِ

رَاحَا إِلَى مُتْقِنِ الأَذْنَابِ يَصْنَعُهَا * صُنْعَ الحَقِيقَةِ لَمْ تُحْسَبْ وَلَمْ تُخَلِ

فَنَاطَ فَوْرًا لِكُلٍّ مِنْهُمَا ذَنَبًا * يَحْكِي الأُصُولَ سَوِيًّا مُتْقَنَ العَمَلِ

وَبَعْدَ ذَلِكَ حَلَّا بَيْتَ مُكْرِمَةٍ * لَاقَاهُمَا صِبْيَةٌ فِيهِ عَلَى عَجَلِ

يُدَاعِبُونَهُمَا لَهْوًا وَتَسْلِيَةً * عَلَى الدَّوَامِ بِلَا رِفْقٍ وَلَا مَلَلِ

حَتَّى إِذَا جُوذِبَا ذَيْلَيْهِمَا انْخَلَعَا * وَبَاتَ كُلٌّ مِنَ الهِرَّيْنِ فِي خَجَلِ

يُلَازِمَانِ الأَسَى مِمَّا أَصَابَهُمَا * وَيَنْدُبَانِ لِمَا نَالَا مِنَ الفَشَلِ

تَكَلَّفَا سَتْرَ عَيْبٍ لَيْسَ تَسْتُرُهُ * عَنِ العُيُونِ ضُرُوبُ المَكْرِ وَالحِيَلِ

وَمَنْ يَكُنْ عَاطِلًا عَنْ حِلْيَةٍ خُلِقَتْ * فِيهِ فَمَا الغِشُّ مُحْلِيهِ لَدَى العُطَلِ

أَنَّ الجَمِيلَ غَنِيٌّ مِنْ طَبِيعَتِـهِ ❊ بِحُسْنِهِ عَنْ جَمَالِ الحَلْيِ وَالحُلَلِ
قُولُوا لِمَنْ بَاتَ مَشْغُولًا بِزُخْرُفِهِ ❊ لَيْسَ التَّكَحُّلُ فِي العَيْنَيْنِ كَالكَحَلِ

العظة الثالثة والتسعون

(الجَمَلُ وَالحِمَارُ)

الوَعْظُ فِي سَيَّارَةِ الأَشْعَارِ ❊ أَهْدَى بِمِسْرَاهُ مِنَ الأَقْمَارِ
فَانْظِمْ حِكَايَاتِ الوَقَائِعِ دَائِمًا ❊ مَرْوِيَّةً بِحَقَائِقِ الأَخْبَارِ
وَاشْرَحْ غَوَامِضَ مَا تُكِنُّ ضَمَائِرٌ ❊ وَاكْشِفْ سِتَارَ مَوَاضِعِ الأَسْرَارِ
فِي مِصْرَ حَادِثَةٌ جَرَتْ مِنْ سَالِفٍ ❊ سَارَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ فِي الأَمْصَارِ
جَمَلٌ أَقَامَ مَعَ الحِمَارِ مُمَتَّعًا ❊ فِي رَوْضَةٍ غَنَّاءَ ذَاتِ ثِمَارِ
عَاشَا مَعًا فِي صُحْبَةٍ وَمَوَدَّةٍ ❊ فِي حَالَةِ الإِيسَارِ وَالإِعْسَارِ
لَمْ يَحْذَرَا كَيْدًا مِنَ الدُّنْيَا وَلَا ❊ فِعْلَ الزَّمَانِ الخَائِنِ الغَدَّارِ
وَالدَّهْرُ يَفْتِنُ وَاللَّيَالِي قُلَّبٌ ❊ وَالمَرْءُ بَيْنَ مَخَالِبِ الأَخْطَارِ
أَمَلٌ هِيَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا سِوَى ❊ أَمَلٍ مَعَ الإِقْبَالِ وَالإِدْبَارِ
لَمَّا رَأَى ذَاكَ الحِمَارُ رِعَايَةً ❊ مِنْ حَظِّهِ أَدْلَى بِذَيْلٍ فَخَّارِ
لَمْ تَصْلُحِ النُّعْمَى لَهُ وَلَطَالَمَا ❊ فَسَدَتْ عَلَى المُتَكَبِّرِ الجَبَّارِ
رَامَ الزِّيَقَ مُؤَمِّلًا بِنَهِيقِهِ ❊ هَذَا مُحَاكَاةُ الهِزَبْرِ الضَّارِي

مقطوعة اربعة و تسعون

(جميع ما يأتي)

جمع ما كان من جميع الورد
وقضى العمر كله في عناء تحصيله
من سعى لزرقه ولذ في تحصيله
ان بعد العنا يعقبه ولمام المقاصد

نَـــالَهُ غَـــيْرَ أَنَّهُ ... لَمْ يَعِشْ عَيْشَ رَاشِدِ
حَبَسَ المَالَ حَابِساً ... أَنَّهُ غَـــيْرُ بَائِـــدِ
حَيْثُ جَازَتْ مَبَرَّةٌ ... جَازَهَا لَمْ يُسَـاعِدِ
ظَلَّ فِي بُخْـلِهِ إِلَى ... أَنْ مَضَى غَيْرَ عَائِدِ
حَسِبَ العُمْرَ خَالِدًا ... لَيْسَ شَيْءٌ بِخَـالِدِ
مَاتَ عَنْ كُلِّ مَا اقْتَنَى ... مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدِ
وَبِهِ النَّاسُ مُتِّعَتْ ... مِنْ مُرِيبٍ وَصَائِدِ
أَنَعْـــمِي أَمْ خَالِدٍ ... رُبَّ سَاعٍ لِقَـاعِدِ

العظة الخامسة والتسعون

(الحيـاة)

أَنَّ الحَيَاةَ نَصَبٌ يُنَاصَبُ ... نَلْعَبُ فِيهَا وَبِنَـا تَلَاعَبُ
أَثْمَـارُهَا زَاهِيَـةٌ وَدَانِيَـهْ ... كَثِيرَةُ النَّعِـيمِ لٰكِنْ فَانِيَـهْ
المَوْتُ فِيهَـا أَكْبَرُ الآفَاتِ ... لِكُلِّ مَاضٍ وَلِكُلِّ آتِ
فَهَوِّنِ الأَمْرَ تَعِشْ فِي الزَّمَنِ ... بِمَأْمَنٍ مِنْ طَارِئَاتِ المِحَنِ
فَمَا لَنَا فِي الدَّهْرِ مِنْ نَصِيبِ ... غَيْرَ الأَسَى وَالرُّزْءِ فِي الحَبِيبِ
يَأْخُذُ إِنْ حَسِبْتَ كُلَّ مَا وَهَبْ ... لَا رَاحَةٌ تَبْقَى بِهِ وَلَا تَعَبْ

وَلَمْ نَجِدْ فِيهِ رَخِيَّ البَـالِ ✻ إِلَّا الَّذِي يَرْضَى بِدُونِ الحَالِ

لَيْسَ الغِنَى بِكَثْرَةِ الأَمْوَالِ ✻ إِنَّ الغِنَى قَنَـاعَةُ الرِّجَالِ

قَدْ يَكْثُرُ المَالُ وَلَكِنْ صَاحِبُهْ ✻ تُفْقِرُهُ عَلَى الغِـنَى مَتَاعِبُهْ

وَالسُّقْمُ يُنْسِي فِتْنَةَ الأَمْوَالِ ✻ وَالْحُبُّ لِلدُّنْيَا وَلِلْعِيَـالِ

وَالنَّاسُ فِي طَرِيقِهِمْ أَجْنَاسُ ✻ أَغْلَبُهُمْ فِي فِعْلِهِمْ أَنْجَاسُ

تَلْتَمِسُ النَّاسُ إِلَى الكِفَايَهْ ✻ وَحِرْصُهَا لَيْسَ لَهُ نِهَـايَهْ

فَطَالِحٌ فِي سَيْرِهِ وَصَالِحُ ✻ كُلٌّ لَهُ فِي سَيْرِهِ صَوَالِحُ

يَضِيعُ مَنْ كَانَ قَلِيلَ الحِيلَهْ ✻ وَلَوْ يَكُونُ سَـيِّدَ القَبِيلَهْ

لَيْسَتْ حَيَاةُ المَرْءِ بِالمَلَاهِي ✻ فَخْرًا بِهَا يُعْجِبُ أَوْ يُبَاهِي

تَفْتِنُهُ الدُّنْيَا بِحُبِّ نَفْسِـهِ ✻ حَتَّى يَبِيتَ ثَاوِيًا فِي رَمْسِهِ

وَمَنْ يَعِشْ لِنَفْسِهِ فِي أُمَّهْ ✻ كَانَ بَلَاءً عَيْشُهُ وَغُمَّـهْ

وَإِنَّمَا الْحُرُّ رَحِيبُ الصَّدْرِ ✻ يَلْقَى صُرُوفَ دَهْرِهِ بِالصَّبْرِ

يُقَاوِمُ الأَقْبَـالَ وَالإِدْبَارَا ✻ بِحِكْمَةٍ وَيَصْرِفُ الأَكْدَارَا

يَنْتَهِزُ الفُرْصَـةَ فِي الزَّمَانِ ✻ فَيَجْتَنِي طُرْفَةَ كُلِّ آنِ

وَيَقْتَدِي أَوْطَانُهُ بِالعُمْـرِ ✻ فَالنَّاسُ أَخْبَارٌ وَحُسْنُ ذِكْرِ

لَا شَيْءَ فِي الدُّنْيَا كَحُبِّ الوَطَنِ ✻ وَلَا حَيَاةَ بَعْدَهُ فِي الزَّمَنِ

فَإِنَّمَـا الأَوْطَانُ بِالرِّجَالِ ۞ وَبِالرِّجَالِ قِيمَةُ الأَعْمَـالِ
يَا طَالِبَ الرَّاحَةِ فِي الحَيَاةِ ۞ لَا رَاحَةٌ إِلَّا مَعَ المَمَاتِ
حَقِيقَةُ الحَيَاةِ لَيْسَتْ تُدْرَكُ ۞ إِلَّا لِمَـنْ بِاللهِ لَيْسَ يُشْرِكُ
مُسْتَمْسِكٌ بِصِحَّةِ الإِيمَانِ ۞ مُسَـلِّمُ الأُمُورِ لِلرَّحْمٰنِ
يَعْرِفُ أَنَّ المَوْتَ مُنْتَهَاهُ ۞ وَيُؤْثِرُ الأُخْرَى عَلَى دُنْيَاهُ
التَّرْكُ لِلدُّنْيَا النَّجَاةُ مِنْهَـا ۞ لَمْ تَرَ أَنْهَى لَكَ مِنْهَا عَنْهَـا

العظة السادسة والتسعون

(الحَيَّةُ وَدُودَةُ الدَّم)

فِي سَالِفِ الدَّهْرِ قَالَتْ حَيَّةُ الوَادِي ۞ لِدُودَةٍ رِيُّهَـا مِنْ مَصِّ أَجْسَادِ
كَيْفَ افْتَرَقْنَا وَأَصْلُ الخَلْقِ يَجْمَعُنَا ۞ بَيْنَ الخَلَائِقِ فِي قُرْبٍ وَإِبْعَـادِ
هُمْ يَجْعَلُونَكِ فِي الأَبْدَانِ رَاتِعَـةً ۞ وَيُورِدُونَكِ وِرْدَ النَّاعِمِ النَّادِي
أَمَّا أَنَا إِنْ رَأَوْنِي بَيْنَهُمْ نَفَـرُوا ۞ كَنَفْرَةِ الشَّاةِ مِنْ أَظْفَـارِ آسَادِ
سَقَوْكِ مِنْ دَمِهِمْ حَتَّى ارْتَوَيْتِ بِهِ ۞ حُبًّا وَفُزْتِ مِنَ الأَجْسَامِ بِالزَّادِ
قَالَتْ لَهَا إِنَّ رَشْفِي مُبْرِئٌ عِلَلًا ۞ لٰكِنَّ لَدْغَكِ لَدْغُ القَاتِلِ العَادِي
إِنْ كُنْتِ أَيْقَنْتِ أَنَّ الشَّكْلَ مُتَّحِدٌ ۞ فَفِي الفَعَـائِلِ فَرْقٌ ظَاهِرٌ بَادِ
النَّاسُ أَخْلَاقُهُمْ شَتَّى وَإِنْ جُبِلُوا ۞ عَلَى تَشَابُهِ أَرْوَاحٍ وَأَجْسَـادِ

العظة السابعة والتسعون

(الحُـــرِّيَّةُ)

مَاوَهَبَ الرَّحْمٰنُ لِلْبَرِيَّهْ ❊ أَفْضَلَ مِنْ مَوْهَبَةِ الْحُرِّيَّهْ
فَضِيلَةٌ رَفِيعَةُ الْمَكَانِ ❊ وَأَكْبَرُ الصِّفَاتِ لِلإِنْسَانِ
سِرُّ النُّبُوغِ وَنَجَاحُ الأُمَمِ ❊ سِرُّ الرُّقِيِّ وَعُلُوُّ الهِمَمِ
سِرُّ النِّظَامِ سِرُّ فِعْلِ الْعَقْلِ ❊ سِرُّ الْقَوَانِينِ وَسِرُّ الْعَدْلِ
مَجْدُ الْحُكُومَاتِ وَمَجْدُ الْوَطَنِ ❊ مَعْنَى الْحَيَاةِ وَحَيَاةُ الْفَطِنِ
قَدْ قُيِّدَتْ لِنَظْمِ سَيْرِ الْمُلْكِ ❊ بِكُلِّ قَانُونٍ دَقِيقِ السِّلْكِ
وَالرَّجُلُ الْحُرُّ بِأَصْغَرَيْهِ ❊ يَعْرِفُ مَالَهُ وَمَا عَلَيْهِ
لَهُ الْقِيَامُ بِالَّذِي يَرَاهُ ❊ مِنْ عَمَلٍ وَرَفْضِ مَا يَأْبَاهُ
وَالْمَرْءُ كُلُّ فِعْلِهِ بِطَبْعِهِ ❊ يَظْهَرُ قَدْرُ عَقْلِهِ بِصُنْعِهِ
لَوْلَا وُجُودُ الْفَرْقِ فِي الرِّجَالِ ❊ مَا عُرِفَتْ مَحَاسِنُ الْخِلَالِ
الْفَضْلُ كُلُّ الْفَضْلِ لِلْعُلُومِ ❊ وَأَهْلُهُ الْمُدَاةُ كَالنُّجُومِ
بِهِ انْجَلَتْ حَقِيقَةُ الطَّبِيعَهْ ❊ وَعُرِفَتْ مَنَاهِجُ الشَّرِيعَهْ
وَكَثُرَ الْعُمْرَانُ فِي الأَرْجَاءِ ❊ وَامْتَدَّتِ الْفُنُونُ فِي الأَنْحَاءِ
وَظَهَرَتْ كَالشَّمْسِ فِي النَّهَارِ ❊ حِكْمَةُ الاخْتِرَاعِ لِلأَبْصَارِ

صـــنَائِعُ مُحْكَمَةُ الإِتْقَـانِ مِنْ عَمَلِ الفِكْرَةِ وَالبَنَـانِ
لَا يَطْمَعُ العَـالَمُ فِي الكَمَالِ إِلَّا بِجَمْعِ الشَّمْلِ فِي الأَعْمَالِ
وَقُـوَّةُ الأَعْمَـالِ بِاتِّحَـادِ وَالضَّعْفُ كُلُّهُ بِالانْفِـرَادِ
وَعُزْلَةُ الإِنْسَانِ لِلإِخْوَانِ مِنْ أَكْبَرِ الخُسْرَانِ وَالخِذْلَانِ
إِنْ قِيلَ فِيهَا رَاحَةُ الضَّمِيرِ فَكَمْ بِهَـا مِنْ ضَرَرٍ كَبِيرِ
فَبِالتَّعَـارُفِ ائْتِلَافٌ يَنْفَعُ وَبِالتَّنَاكُرِ اخْتِلَافٌ يُوقِعُ
وَالقَصْدُ مِنْ حُرِّيَّةِ البِلَادِ تَوَفُّـرُ الرَّاحَةِ لِلْعِبَـادِ
بِبَيْتٍ فِي الدَّارِ أَمِينَ الغَبْنِ رَبُّ الغِنَى فِي رَاحَةٍ وَأَمْنِ
وَيَأْخُذُ الضَّعِيفُ كُلَّ حَقِّ وَيُعْتِقُ القَوِيُّ عَبْدَ الرِّقِّ
لَا تَرْهَبُ السَّفِينُ قَطْعَ البَحْرِ * وَلَا يَخَافُ النَّاسُ سَيْرَ البَرِّ
وَيَنْبُغُ الكُتَّابُ فِي التَّحْرِيرِ * بِنَشْرِهِمْ مَذَاهِبَ الضَّمِيرِ
وَتُتْرَكُ الدَّعْوَةُ لِلْمَذَاهِبِ * لِكُلِّ غَادٍ دِينُـهُ وَذَاهِبِ
وَتُفْتَحُ الأَبْوَابُ لِلْمَدَارِسِ * فِي وَجْهِ مُوسِرٍ وَوَجْهِ بَائِسِ
وَتَدْخُلُ الأَرْزَاقُ لِلتُّجَّارِ * مِنْ سَائِرِ الأَجْنَاسِ وَالأَقْطَارِ
هٰذِي هِيَ الحُرِّيَّةُ الصَّحِيحَهْ * وَهٰـذِهِ نِعْمَتُهَـا الرَّجِيحَهْ
تَمَتُّعُ الإِنْسَانِ فِي الحَيَـاةِ * بِحَقِّهِ مِنْ أَعْظَمِ الهِبَـاتِ

العظة الثـامنة والتسعون

(العُصْفُورُ الحَبَشِيُّ وَالبُلْبُلُ)

عَصْفُورُ حِبْشَانٍ تَرَنَّمَ قَائِلًا ... فِي الطَّيْرِ مَالِي فِي الغِنَاءِ مُمَاثِلُ
وَعَلَى البَلَابِلِ جَرَّ ذَيْلَ فَخَارِهِ ... قَوْلًا وَيَأْبَى الفَضْلُ مَا هُوَ قَائِلُ
فَأَتَى يُبَارِيهِ امْتِحَانًا بُلْبُلٌ ... لِيُبِينَ أَيُّهُمَا الدَّعِيُّ الجَاهِلُ
وَإِلَى الطُّيُورِ تَقَاضَيَا فِي رَوْضَةٍ ... طَلَبًا لِحُكْمِ الحَقِّ وَهُوَ الفَاصِلُ
فَتَرَنَّمَ الحَبَشِيُّ يُبْدِي فَضْلَهُ ... فَشَجَا ذَوِيهِ غِنَاؤُهُ المُتَوَاصِلُ
وَالبُلْبُلُ الغِرِّيدُ صَاحَ كَأَنَّهُ ... عُودُ المَسَرَّةِ حَرَّكَتْهُ أَنَامِلُ
فَتَشَبَّعَتْ أَذْهَانُ مَنْ سَمِعُوهُمَا ... وَلِكُلِّ قَالٍ مِنْ هَوَاهُ شَاغِلُ
كُلٌّ لَهُ غَرَضٌ فَهَذَا عَاذِرٌ ... فِي حُكْمِهِ الجَارِي وَهَذَا عَاذِلُ
شَهِدَ الغُرَابُ لِمِثْلِهِ لِسَوَادِهِ ... وَكِلَاهُمَا مُتَجَانِسٌ مُتَشَاكِلُ
وَأَصَرَّ فِي هَذَا الضَّلَالِ وَرَهْطُهُ ... تَبَعًا يُؤَيِّدُ زَعْمَهُ وَيُنَاضِلُ
حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ الجِدَالُ بِغَيْرِ مَا ... جَدْوَى وَكُلٌّ صَاخِبٌ وَمُجَادِلُ
رَدَّ الهِزَارُ عَلَى الدَّعِيِّ بِقَوْلِهِ ... هَيْهَاتَ لَيْسَ الطَّائِلَ المُتَطَاوِلُ
لَا خَيْرَ فِي أَغْصَانِ رَوْضٍ مُثْمِرٍ ... إِنْ لَمْ تُغَرِّدْ فَوْقَهُنَّ بَلَابِلُ
أَنَا مَنْ دَرَى أَهْلُ السَّمَاعِ تَفَوُّقِي ... وَالحَقُّ لَا يَعْلُو عَلَيْهِ البَاطِلُ
وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ ... فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ

العظة التاسعة والتسعون

(الحمامة والعقعق)[1]

حَمَامَةٌ سَاكِنَةٌ فِي وَكْرِ ... بِقُرْبِ عَقْعَقٍ شَدِيدِ النُّكْرِ

بَدَّلَ صَفْوَ العَيْشِ مِنْهَا بِالْكَدَرْ ... وَسَاقَهَا إِلَى جِوَارِهِ القَدَرْ

يَا بُؤْسَ مَنْ يُجَاوِرُ المَنْكُودَا ... وَسَعْدَ مَنْ يُجَاوِرُ المَسْعُودَا

فَكَانَ جَارُ السُّوءِ يُؤْذِي أَهْلَهْ ... وَيَخْلُقُ الذَّنْبَ بِغَيْرِ عِلَّهْ

وَكُلَّمَا أَذَاقَهَا صُنُوفَا ... مِنَ العَذَابِ زَادَهَا صُرُوفَا

فَتَظْهَرُ اللِّينَ لَهُ عِتَابَا ... وَلَا تَرَى مِنْ نَفْسِهِ صَوَابَا

وَتَشْرَحُ الشَّكْوَى لِتِلْكَ الجَارَهْ ... مِمَّا تَذُوقُهُ مِنَ المَرَارَهْ

تَقُولُ زَوْجِي كُلُّهُ عُيُوبُ ... وَكُلُّ مَا يَفْعَلُهُ ذُنُوبُ

لَا يَعْرِفُ الفَضْلَ وَلَا ذَوِيهِ ... وَكُلُّ قُبْحٍ فِي الوُجُودِ فِيهِ

فِي الصُّبْحِ لَا يُفَارِقُ العُقَارَا ... وَفِي الدُّجَى لَا يَتْرُكُ القِمَارَا

قَالَتْ لَهَا جَارَتُهَا الحَمَامَهْ ... خَلِّي العِتَابَ وَاتْرُكِي المَلَامَهْ

فَالغَيْثُ لَا يَخْلُو مِنَ العُيُوبِ ... وَالعَيْبُ فِي الشَّبَابِ وَالمَشِيبِ

أَيُّ امْرِئٍ مِنَ العُيُوبِ قَدْ خَلَا ... جَلَّ الَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا

---

(١) طائر على قدر الحمامة وهو على شكل الغراب ويقال له القمقع أيضا والعرب تشبهه به وتضرب به المثل فى السرقة والخيانة والخبث

الخـاتمـــــة

الْكَوْنُ دَلَّكَ أَنَّ اللهَ مَوْجُودُ * وَلَيْسَ لِلْخَـلْقِ غَيْرَ اللهِ مَعْبُـودُ
هُوَ الْقَـدِيمُ وَكُلُّ النَّـاسِ حَادِثَةٌ * وَلِلْخَـلَائِقِ فِي الْأَجْيَـالِ تَجْـدِيدُ
يُعْطِي وَيَمْنَعُ وَالْأَقْـدَارُ سَابِقَـةٌ * فِي اللَّوْحِ وَالنَّاسُ مَنْكُودٌ وَمَسْعُودُ
يَا مَنْ طَوَيْتَ أَدِيمَ الْأَرْضِ مُلْتَمِسًا * مَالًا وَمَا أَنْتَ بِالْأَمْوَالِ مَوْعُودُ
قَدْ تُمْنَعُ الْأُسْدُ قَسْرًا عَنْ فَرِيسَتِهَا * وَفِي صُخُورِ الْفَيَـافِي يُرْزَقُ الدُّودُ
لَا شَيْءَ أَعْجَبُ فِي الْأَيَّامِ مِنْ رَجُلٍ * يَرْجُو الْخَلَائِقَ وَالْخَلَّاقُ مَوْجُودُ
يَطْوِي الْفَتَى عُمْرَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ * كَأَنَّهُ بَعْدَ طُولِ الْعُمْرِ مَوْلُودُ
يَحَارُ مَنْ قَلَّبَ الدُّنْيَا بِنَـاظِرِهِ * كَمَا يَحَارُ فَتًى تَاهَتْ بِهِ الْبِيـدُ
مَالِي أَرَى النَّاسَ بِالْآمَالِ مُولَعَةً * وَمَا لَهُمْ فَوْقَ وَجْهِ الْأَرْضِ تَخْلِيدُ
هَـذَا أَدِيبٌ رَمَاهُ الْبُؤْسُ فِي بَلَدٍ * لَا يَعْرِفُ الْفَضْلَ وَالْمِفْضَالُ مَنْكُودُ
ضَاقَتْ بِهِ الْأَرْضُ حَتَّى ضَلَّ مَذْهَبُهُ * وَقَلْبُهُ مِنْ هُمُومِ الدَّهْرِ مَفْؤُدُ (١)
يَمْشِي فَتَحْسَبُهُ مِنْ سُقْمِهِ شَبَحًا * مَرَّتْ عَلَيْـهِ اللَّيَالِي وَهْوَ مَلْحُودُ
وَذَاكَ قَدْ خَبَرَ الدُّنْيَا بِحِكْمَتِهِ * فَلَيْسَ يُجْـدِيهِ تَقْرِيبٌ وَتَبْعِيـدُ
يَرَى الْحَيَـاةَ بِعَيْنِ الْمُسْتَهِينِ بِهَـا * وَالْكَوْنُ فِي عَيْنِـهِ كَالظِّلِّ مَمْدُودُ
إِذَا بَدَا الصُّبْحُ لَا تُلْهِيـهِ بَهْجَتُهُ * وَإِنْ دَجَا اللَّيْلُ لَا يُضْنِيهِ تَسْهِيدُ

(١) مريض بفؤاده

وَذَلِكَ مُغْرًى بِتَاجِ الْمُلْكِ يَحْرِزُهُ ... دُونَ الْأَنَامِ وَصَوْمُ الْمُلْكِ تَنْكِيدُ

مَالَذَّةُ الْمُلْكِ إِنْ دَارَ الزَّمَانُ بِهِ ... وَالْمُلْكُ كَالرِّزْقِ مَقْسُومٌ وَمَحْدُودُ

وَالدُّرُّ فِي الْبَحْرِ لَا يُدْرَى بِقِيمَتِهِ ... إِلَّا إِذَا ضَمَّهُ فِي عِقْدِهِ الْجِيدُ

وَالْخَلْقُ شَتَّى فَلَا عَتْبٌ وَلَا عَتَبٌ ... كُلٌّ لَهُ مَوْقِفٌ فِي الْأَرْضِ مَشْهُودُ

هٰذَا حَرِيصٌ وَلَيْسَ الْحِرْصُ يَنْفَعُهُ ... وَبَاذِلٌ فِي وُجُوهِ النَّاسِ مَوْصُودُ

يَعِيشُ يَجْمَعُ أَمْوَالًا وَيَتْرُكُهَا ... وَإِنَّمَا الْمَالُ لِلْأَخْلَافِ مَرْصُودُ

وَذَا جَوَادٌ أَطَافُوا فِي مَذَمَّتِهِ ... وَمَا رَأَيْنَا جَوَادًا عَابَهُ الْجُودُ

وَلِلسَّمَاحَةِ أَخْلَاقٌ مُهَذَّبَةٌ ... وَلِلْمَكَارِمِ أَبْطَالٌ مَنَاجِيدُ

إِنَّ الْكَرِيمَ لَيُخْفِي عَنْكَ عُسْرَتَهُ ... حَتَّى تَرَاهُ غَنِيًّا وَهُوَ مَجْهُودُ

بُثَّ النَّوَالَ وَلَا تَمْنَعْكَ قِلَّتُهُ ... فَكُلُّ مَاسَدَّ فَقْرًا فَهُوَ مَحْمُودُ

وَذَاكَ قَدْ ضَاعَ فِي الدُّنْيَا لِفِطْنَتِهِ ... وَهٰكَذَا بَحْرُ أَهْلِ الْفَضْلِ مَكْدُودُ (١)

وَذَا مَعَ الْجَهْلِ دَاءُ الْكِبْرِ قَاتِلُهُ ... لَاحِلْمَ فِيهِ وَلَا فِي الرَّأْيِ تَسْدِيدُ

يُمْسِي وَيُصْبِحُ لَاحَزْمٌ وَلَاغَرَضٌ ... لٰكِنَّهُ نَاعِمٌ بِالْعُمْرِ مَجْدُودُ

وَذَاكَ فِي قَلْبِهِ وَهْمٌ يُحَرِّكُهُ ... إِذَا رَأَى الْبَرْقَ قَالَ الْبَرْقُ تَهْدِيدُ

وَذَاكَ فِي نَفْسِهِ مِنْ دَهْرِهِ وَهَنٌ ... وَالدِّينُ فِي رَأْيِهِ لِلنَّاسِ تَقْيِيدُ

(١) قليل

وَذَا تَقِيٌّ نَقِيُّ الذَّيْلِ طَاهِـــرُهُ * وَلَيْلُهُ كُلُّهُ وِرْدٌ وَتَهْجِيـــدُ
وَذَاكَ قَدْ دَوَّخَ الدُّنْيَا بِقُدْرَتِهِ * فَلَا يُنَازِلُهُ فِي الْحَرْبِ صِنْدِيدُ
وَذَا ضَعِيفٌ يَكَادُ الظَّنُّ يَقْتُلُهُ * كَأَنَّهُ بِقُيُودِ الْوَهْمِ مَصْفُودُ
وَذَا يَتِيمٌ ذَلِيـــلٌ لَا نَصِـــيرَ لَهُ * وَقَلْبُـــهُ مِنْ هُمُومِ الدَّهْرِ مَنْجُودُ
أَنْحَى الزَّمَانُ عَلَيْهِ وَهْوَ فَرْخٌ قَطًّا * وَاهِي الْعَزِيمَةِ عِنْدَ الْخَطْبِ رِعْدِيدُ
إِذَا تَجَـــلَّى هِلَالُ الْعِيـــدِ قَالَ لَهُ * (عِيـــدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يَا عِيـــدُ)
وَذَا فَقِيرٌ وَلَا قَلْبٌ يَحِنُّ لَهُ * يَجُوبُ آفَاقَ بِيـــدٍ بَعْدَهَا بِيـــدُ
يُقِيمُ فِي الْبُؤْسِ لَا عَوْنٌ وَلَا مَدَدٌ * الدَّهْرُ بُؤْسٌ لَهُ وَالْعُمْرُ تَنْكِيـــدُ
وَذَاكَ فِي يُسْرَةٍ وَالدَّهْرُ خَادِعُهُ * يَبْنِي الْأَمَانِيَّ وَالْمَبْنِيُّ مَهْـــدُودُ
لَيْسَتْ حَيَاةُ الْفَتَى فِي جَمْعِ ثَرْوَتِهِ * فَإِنَّمَا جَمْعُهَا بِالشُّـــحِّ تَبْـــدِيدُ
إِنَّ الْحَيَـــاةَ بِذِكْرٍ خَالِدٍ فَإِذَا * قَضَى الْفَتَى نَحْبَـــهُ فَالذِّكْرُ تَخْلِيـــدُ
وَذَاكَ قَدْ حَلَبَ الْأَيَّامَ أَشْطُرَهَا * فَلَا يُرَاوِغُهُ فِي دَهْرِهِ الْبِيـــدُ
وَذَاكَ فَظٌّ غَلِيظُ الْقَلْبِ ذُو صَلَفٍ * كَأَنَّهُ بِجُمُـــودِ الْوَجْهِ صَيْخُودُ (١)
وَذَا تَجَمَّعَ مِنْ لُطْفٍ وَمِنْ أَدَبٍ * وَرُبَّ خُلْقٍ لَهُ فِي الْخَلْقِ تَفْرِيـــدُ
وَذَاكَ تُزْرِي بِبَـــدْرِ التَّمِّ طَلْعَتُهُ * وَفِي مُحَيَّـــاهُ إِشْرَاقٌ وَتَوْرِيدُ
وَذَا يَمِيـــلُ إِلَى خَمْرٍ مُعَتَّقَـــةٍ * وَذَاكَ قَدْ تَيَّمَتْهُ الْأَعْيُنُ السُّودُ

(١) صخـــر

وكم قلوبٍ برتها أعين عرضاً ... من أسهم أرسلتها الكاعب الرود

لا أكذب الله في قومي وقد خلقوا ... والعيش في دينهم كأس وتغريد

ما بي عنف جهالاً خبرتهم ... سيان عندهم هدم وتشييد

طاروا مع الوهم والأيام مدبرة ... وكل ما مر في الأيام مفقود

خلائق كلها ضعف ومنقصة ... فلا كمال ولا فضل ولا جود

لولا التعلل بالآمال ما اختلفت ... تلك النفوس وأعرتها المواعيد

كل له غاية في الناس ينشدها ... بسعيه وجميل السعي محمود

وليس يسعد كسلان برقدته ... ولا نبي بغير الجد معدود

ما فارق السعي موسى في نبوته ... ولا توانى نبي الله داود

عجبت من فئة في الجهل سابحة ... تبغي البقاء وحبل الجهل ممدود

والنصح مهما تجده لا يفيد فتى ... كلامه في مجال الصدق مردود

ما بي أرى لحق مرخى الحبل من وهن ... وفي يد الناس حبل الزور مشدود

إذا بنوا بيت غش أحكموه وإن ... بنوا لهم بيت نصح فهو مهدود

إن طويت بساط القول من حكم ... فاعذر فإن بساط الجهل ممدود

يكفي من الوعظ ما قد سال من قلمي ... كما كفى من ثمار الكرم عنقود

حسب اللبيب الذكي القلب موعظة ... بالرمز والوحي لا لفظ وترديد

وهذه جمل مملوءة حكما ... من دون نشر شذاها الند والعود

خرجت فيها عن التعقيد معتقدا ... أن السهولة فيها خير معقود

يسابق الذهن معناها مبادرة ... كأنه قبل وقع اللفظ موجود

فيها فنون كأفنان الربا حملت ... تيجان زهر عليها الدر منضود

تشفي الغليل كما تحيي العليل كما ... ترتاح النفس لا دف ولا عود

على لسان وحوش القفر سردها ... والصدق في الوحش دون الإنس معهود

هي الحرية أن تحلو لحداتها ... وأن تسير بها المهرية القود

تحلو كماء ثمار الروض في ضمأ ... أو كالرضاب إذ جادت به الغيد

أمثال صدق تجلت لا مثال لها ... معنى صحيح ولفظ فيه تجويد

ضمنتها النصح والأغراض شاهدة ... وفي لسان الحصى للحق تأييد

طالقتها في الورى قيد ربضتها ... خلائقهم فهي إطلاق وتقييد

إن أنشد البيت روميه على ملإ ... فللروية في الآفاق ترديد

عروس فكر حوت كل الجمال وهم ... قل لخاطبها في مهرها زيدوا

رضيت في مهرها لا لا دوا ... بكر تضع في وهم مولود

من ذا تصالح حر الناس لا من ... لا ألف ن كلهم شتى عوائده

جفت محاريثهم مطفي في رمق ... يدفعه عجي في هيبه نسه

(١) متفرقون

مَا ذَا تُفِيدُ شُمُوسُ الرَّأْيِ طَالِعَةً ... وَمَجْدُ صَاحِبِهَا فِي النَّاسِ مَوْءُودُ

لِذَاكَ أَنْفُسُ أَهْلِ الْجِدِّ دَاخَلَهَا ... فِي الْحَقِّ رَيْبٌ وَفِي الْأَهْوَاءِ تَشْرِيدُ

وَالْعُذْرُ لِلشِّعْرِ إِنْ ضَاعَتْ مَكَانَتُهُ ... بَيْنَ الْبَرِيَّةِ حَيْثُ الْفَضْلُ مَجْحُودُ

فَلْيَسْكُتِ الشَّاعِرُ الْمَغْبُونُ فِي بَلَدٍ ... إِنْ غَرَّدَ الطَّيْرُ لَمْ تَشْجِ الْأَغَارِيدُ

يَشْكُو إِلَى اللهِ مَا لَاقَاهُ مِنْ زَمَنٍ ... وَمِنْ لَيَالٍ تَقَضَّتْ وَهْوَ مَكْمُودُ

فِيهِ الْحَكِيمُ يُوَارِي عِلْمَهُ حَذَرًا ... كَأَنَّهُ الْعَارُ يُخْشَى فَهْوَ مَصْدُودُ

فَلْيُظْهِرِ الْفَضْلَ بَيْنَ النَّاسِ عَارِفُهُ ... وَأَجْرُ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ مَرْصُودُ

وَلْيَتْرُكِ النَّاسَ مِنْهَا قَالَ قَائِلُهُمْ ... فِيهِ وَآلَمَهُ لَوْمٌ وَتَنْدِيدُ

مَتَى تُسَاعِدُنِي الدُّنْيَا عَلَى غَرَضِي ... فَيَسْتَتِمَّ بِنَشْرِ الْعِلْمِ مَقْصُودُ

لِتَخْلُصَ النَّفْسُ مِنْ شَرِّ الْحُقُودِ وَمِنْ ... دَهْرٍ أَنَا فِيهِ مَقْهُورٌ وَمَكْدُودُ

فَإِنْ خَلَصْتُ فَهَذَا مَا أُؤَمِّلُهُ ... وَإِنْ بَلِيتُ فَأَمْرُ اللهِ مَوْعُودُ

وَإِنْ تَكَاثَرَ حُسَّادِي فَلَا عَجَبٌ ... فَكُلُّ ذِي نِعْمَةٍ فِي النَّاسِ مَحْسُودُ